التفسير الجامع

فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزة بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله امتثالاً لأمره ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد ﷺ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله وبالعلم الّذي به أمر ﷺ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون). والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد الستّار السيّد

الجُزءُ الثّالث

سورة البقرة من الآية (٢٥٣-٢٨٦)

سورة آل عمران من الآية (١-٩٢)

(الآية ٢٥٣) - ﴿* تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾:

قد يأتي أحدهم ويقول: المسلمون هم من يفرّقون بين النّاس، ويأتي بهذه الآية: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، ونحن نعرف تفاصيل القرآن الكريم من القرآن أوّلاً وبعد ذلك من النّبيّ ﷺ، قال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٥]، نقيس هذا النّص القرآنيّ بهذا النّص، لا نفرّق بالإيمان بين الرّسل، ولكن كيف يكون التّفضيل؟ التّفضيل من الله ﷻ:

١- أنّه يفضِّل بعض الرّسل ببعض الأشياء التي يعطيها مناسبة لذلك الزّمان.

٢- أو يفضِّلهم بمساحة العمل.

٣- أو يفضِّلهم ببعض المعجزات.

٤- وبعضهم فضّلهم بالحكمة.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: لم يقل: مَن الّذي فضّله من الرّسل على مَن؟

فإذاً هذا فُضّل بهذا وهذا فُضّل بهذا، لكن أفضل خلق الله هو النّبيّ محمّد ﷺ. هذا التّفضيل بما تقتضيه الحكمة الإلهيّة، أمّا بالنّسبة للإيمان فإنّ الله ﷻ قال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة]، فنحن لا نفرّق بين رسل الله ﷻ، نؤمن بالسيّد المسيح ونؤمن بسيّدنا موسى وسيّدنا إبراهيم وسيّدنا داود وسيّدنا سليمان وسيّدنا زكريّا وبكلّ الأنبياء عليهم السلام. إذاً التّفضيل قد يكون في مجال المعجزة، وقد يكون في مجال العمل، وهو بدافع الحكمة؛ لأنّ الله ﷻ حكيم، فهو عندما يرسل رسولاً يرسله لزمن معيّن، وهذا الزّمن المعيّن ينتهي، أو يرسل الرّسول لقوم معيّنين هؤلاء القوم ينتهون، ولكن عندما يرسل الرّسول للبشريّة جمعاء، وعندما تكون المعجزة دائمة وخالدة كالقرآن لا تنتهي بانتهاء زمن الرّسول، فإذاً هذا الرّسول هو أعظم خلق الله على الإطلاق، وأعظم رسل الله، وهو سيّدنا محمّد ﷺ؛ لأنّ المعجزة هي القرآن الكريم، وهي خالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودعوته للنّاس أجمعين عبر كلّ الأزمان: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: من الآية ٢٨].

﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾: كلّم الله سيّدنا موسى عليه السلام فهو الكليم، لكن عندما نقول: ﴿كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ فلا نعتقد أنّ هناك حبالاً صوتيّةً وصوتاً وكلاماً، هو يتكلّم ولكن ليس بالذّبذبات، وهو يُسمِع ولكن ليس بصوت الحبال

الصّوتيّة، فعندما يُنسب الكلام إلى الله ﷻ فمن خلال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: من الآية ١١].

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: قال العلماء: إنّه عندما قال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾: فالمقصود هو النّبيّ محمّد ﷺ.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: البيّنات التي آتاها الله ﷻ لسيّدنا عيسى عليه السلام ستأتي معنا في سورة (المائدة)، ومن هذه البيّنات أنّه كان يحيي الموتى بإذن الله، ويشفي المرضى، ويُبرىء الأكمه والأبرص.. إلى غير ذلك، هذه هي البيّنات التي أيّده الله ﷻ بها.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: كان مؤيَّداً دائماً بروح القدس وهو سيّدنا جبريل عليه السلام، فقد كان معه في كلّ المواقف والأحوال والاتّجاهات.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾: هذه سنّة من سنن الله في الكون، وهذا ردّ على كلّ التّكفيريّين والإرهابيّين، فالله ﷻ يقول: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ إذاً البيّنات والأديان التي أتت للنّاس لا تكون أبداً سبباً للخلاف، ولا تكون سبباً للاقتتال، وإنّما يكون سبب الاقتتال هو الخلاف وليس الاختلاف، الاختلاف سنّة من سنن الله، فالنّاس مختلفون؛ لذلك خلقهم، والخلاف الّذي يحدث بين النّاس نتيجة حريّة الاختيار، إذاً عندما تقول: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ﴾ قد يقول قائل: القتال مشيئة الله؟!! نعم، هو مشيئة الله ولكنّه ليس فيما يُرضيه، فالله ﷻ لا يرضى لعباده الكفر، ولا يرضى لهم

القتال إلّا للدّفاع عن أوطانهم وأعراضهم وعقيدتهم ومقدّساتهم، فالمشيئة شيء، والأمر والرّضا شيء آخر، فقد يريد الله ﷻ ولا يأمر ولا يرضى، فلا يخرج عن مشيئته أيّ شيء، فمن مشيئته الاختلاف، ومن مشيئته أنّ النّاس تؤمن وتكفر، ومن مشيئته أن يأخذ بعض النّاس جانب الحقّ ويأخذ بعضهم جانب الباطل، فهذا هو الأمر الّذي يؤدّي إلى الاقتتال، وليس أنّ الله ﷻ يرضى الاقتتال، فأنت لم تخرج عن مشيئته ﷻ، ولكنّك خالفت رضاه وأوامره.

﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾: إذاً لو شاء الله ما اقتتلوا، لو شاء لأجبر النّاس كلّهم على أن يكونوا مؤمنين طائعين يعرفون الحقّ وينقادون له، ولكنّ الله يفعل ما يريد، لا يوجد إنسان ذو قوّة عظمى أو غير عظمى.. لا يوجد أحد على الإطلاق فعّال لما يريد إلّا الله، لماذا؟ لأنّه الّذي يفعل ما يريد، يتحكّم بعوامل الفعل، وعوامل الفعل تتعلّق بالزّمن وبالغيب وبالوجود، فإذا كنت غير ضامن لوجودك، ولا تعلم المستقبل والغيب، فلا تملك النّتائج، خطّطت أمريكا أن تعمل بالمنطقة كذا وكذا ولكنّها لم تنجح بمخطّطها، نحن نقول للنّاس هذه أقدار البشر، لكنّها لا تجري على البشر، فقط أقدار الله ﷻ هي التي تجري على البشر، فلا نقول: إنّ أمريكا قدر وإسرائيل قدر، هو ابتلاءٌ، ومفروضٌ علينا أن نواجه هذا القدر بقدر؛ لأنّ إسرائيل وأمريكا والإرهابيّين وكلّ القوى السّيّئة والباطلة ليست فعّالة لما هي تريد، إنّما الفعّال هو الله فقط: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: من الآية ١٠٧].

(الآية ٢٥٤) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾: ما علاقة الإنفاق الآن بقوله: تلك الرّسل فضّلنا بعضهم على بعض وبالاختلاف؟ هي وحدة التّكاليف الإيمانيّة، والإنفاق ممّا رزقك الله ليس فقط هو إنفاق بالمال؛ لأنّ الرّزق ليس بالمال فقط، فالعلم رزق، والسّلطة رزق، والجاه رزق، فأنت تُنفق ممّا أعطاك الله، كما قال ابن عطاء الله السّكندريّ: (إذا أراد أن يُظهر فضله عليك، خلق ونسب إليك)، أنت تعتقد أنّ المال هو مالك، ولكنّه مال الله؛ لأنّه من رزقه وعطائه، وتحقيق التّوازن في الكون الّذي يحدث بين الحقّ والباطل لا يتمّ حتّى ينفق الّذي أعطاه الله على الّذي لم يعطه الله ﷻ؛ لذلك قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾، وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٥]، قلنا: إنّك تتعامل مع الله ﷻ، وإنّك عندما تعطي الفقير والمسكين والبائس واليتيم وذوي الحاجات ومن هم أقلّ منك فكأنّك تقرض الله؛ لأنّه هو الّذي استدعاك واستدعاه للوجود، وخزائن الله لا تنفد، والله ﷻ أراد أن يبتليك بما افترض عليك.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾: أي يوم القيامة، قبل أن يأتي هذا اليوم، هناك ثلاثة أمور أنتم تتمتّعون بها وهي: البيع والخلّة والشّفاعة.

البيع: هو استبدال شيء بشيء بثمن، فيوم القيامة لا تستطيع أن

تستبدل شيئاً بشيء، ولا أن يكون لك ودٌّ مع أحد الخلّان يكون مقابل ذلك شيءٌ من الفائدة: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزّخرف]، إذاً أنفقوا من قبل أن يأتي هذا اليوم الّذي تفقدون فيه العناصر الثّلاثة:

١- لا يوجد استبدال شيء بشيء.

٢- ولا يوجد من هو خليل لك ومن يودّك ويحمل عنك.

٣- ولا من يستطيع أن يشفع لك: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٥].

﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لماذا الكافرون هم الظّالمون؟ هم ظلموا أنفسهم وظلموا غيرهم بكفرهم وشركهم بالله ﷻ، وسترهم لوجوده جلّ وعلا، إذاً هم الظّالمون؛ لأنّ الّذي يستر وجود الله ﷻ، والّذي لا يأخذ بأوامره، والّذي لا ينفق ممّا رزقه الله، والّذي لا يتعامل مع خلق الله على أنّه تعالى استدعاهم للوجود ليبتلي هذا بهذا، وليأخذ من هذا لهذا، فإنّه هو الظّالم.

(الآية ٢٥٥) - ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾:

الآن نأتي إلى أعظم آية في كتاب الله ﷻ، روي عن عبد الله بن

مسعود ﷺ أنّ أعظم آية في كتاب الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[1] آية الكرسيّ، وهناك أحاديث كثيرة وردت عن سيّدنا رسول الله في فضل وعظمة هذه الآية، منها قوله ﷺ: «**من قرأ آية الكرسي دبر كلّ صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنّة إلّا أن يموت**»[2]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطّعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إنّي محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخلّيت عنه، فأصبحت فقال النّبيّ ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**»، قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخلّيت سبيله، قال: «**أما إنّه قد كذبك وسيعود**»، فعرفت أنّه سيعود لقول رسول الله ﷺ: «**إنّه سيعود**». فرصدته فجاء يحثو من الطّعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإنّي محتاج وعليّ عيال لا أعود، فرحمته فخلّيت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك؟**»، قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخلّيت سبيله، قال: «**أما إنّه كذبك وسيعود**». فرصدته الثّالثة فجاء يحثو من الطّعام فأخذته فقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرّات تزعم لا تعود ثمّ تعود، قال: دعني أعلّمك كلمات

---

(١) المعجم الكبير للطّبراني: ج٩، ص/ ١٣٣، الحديث رقم (٨٦٧٨).

(٢) المعجم الكبير للطّبرانيّ: ج٨، ص/ ١١٤، الحديث رقم (٧٥٤٨).

ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ حتّى تختم الآية فإنّك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنّك شيطان حتّى تصبح، فخلّيت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما فعل أسيرك البارحة؟**»، قلت: يا رسول الله، زعم أنّه يعلّمني كلمات ينفعني الله بها فخلّيت سبيله، قال: «**ما هي؟**»، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسيّ من أوّلها حتّى تختم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾، وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتّى تصبح، -وكانوا أحرص شيء على الخير- فقال النّبيّ ﷺ: «**أما إنّه قد صدقك وهو كذوب، تعلم مَن تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟**»، قال: لا، قال: «**ذاك شيطان**»[1]، أي أنّه صدق بأنّ آية الكرسيّ هي أعظم آية في كتاب الله ﷻ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾: تبدأ هذه الآية العظيمة باسم الجلالة الأعظم، (ٱللَّهُ) وهو اسم عَلَم على واجب الوجود، وهو الاسم الّذي يجمع كلّ الصّفات، باقي الأسماء الحسنى تأخذ الاسم والصّفة، عليم، قادر، حيّ، قيّوم، عظيم، قويّ، عزيز، غفور، رحيم.. هي من أسماء الله، لكن إن قلت: الله، فهو الاسم الجامع لكلّ صفات الكمال والجمال والجلال لله ﷻ، الله هو الاسم الّذي لم يستطع أحد أن يتسمّى به.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الوكالة، باب إذا وكّل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكِّل فهو جائز، الحديث رقم (٢١٨٧).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: هنا نفي وإثبات، تخلية وتحلية، عظمة هذه الآية أنّه لم يستطع أحد أن ينكرها، ولم يستطع أحد أن يأتي بدليل ضدّها، وهي مثبتة في ثنايا كلماتها، ودليلها في أحرفها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الإثبات في ذلك أنّه لو كان هناك إله غيره لأخبرنا بوجوده، فالله ﷻ قال: أنا فعّال لما أريد، ولم يستطع أحد أن يقول: إنّه فعّال لما يريد، هو قال: أنا خلقت السّماوات والأرض والشّمس والقمر، ولم يستطع أحد أن يدّعي أنّه خلق السّماوات والأرض، فإذاً هي مثبتة لله بأنّه لا إله إلّا هو حتّى يأتي إله آخر (مُفتَرَض) ويقول: أنا الّذي خلقت، ويعطي دليلاً على خلقه، ولم يستطع أحد ولن يستطيع:

إثباتُ غَيرك شِركٌ في عقيدتِنا محو السِّوَى دينُنا يا قرّةَ العينِ

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ معناها لا إله غيره، (إلّا) ليست أداة استثناء، عندما نقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بمعنى لا معبود إلّا الله، ولا مطاع إلّا الله، وأيّ آلهة يجب أن تُعطي أوامر لتُطاع حتّى تحقّق معنى العبوديّة معنى الطّاعة، ولا يوجد آلهة أعطت تعليمات على الإطلاق.

﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: قال العلماء: سرّ آية الكرسيّ؛ لأنّ فيها سبعة عشر اسماً من أسماء الله الحسنى، تبدأ بالحيّ.

ما تعريف الحيّ؟ الحيّ هو الّذي يكون صالحاً لأداء مهمّته، فالإنسان والحيوان والنّبات حين يموت يخرج عن صلاحه لأداء مهمّته، إذاً يهلك كما قال ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: من الآية ٨٨]، أقول عن نفسي

أنا حيّ وأنت حيّ، لكنّ الحياة الموصولة بي وبك وبالإنسان وبالنّبات وبالحيوان وبالجماد وبكلّ شيء هالكة، أمّا الحيّ الّذي لا يهلك، والحيّ الّذي لا يموت، فهو الله ﷻ؛ لأنّ هذه الصّفة ملازمة لله ﷻ، فعندما نقول الحيّ إذاً اختلفت هذه الصّفة، كما نقول: إنّ فلاناً عالِمٌ أو إنّ فلاناً قادرٌ والله قادرٌ لكنّ الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: من الآية ١١].

﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: هو ليس حيّاً فقط، ومعطياً وواهباً الحياة، ولكنّه قيّوم أيضاً، وقيّوم صيغة مبالغة من قائم، ولكن هل صفات الله تكثر وتضعف؟ الجواب لا، ولكن من ما يتبع لهذه الصّفات قلّة أو زيادة، نقول: قيّوم على كثرة قيوميّته ﷻ، وقائم على شؤون السّماوات والأرض وعلى شؤون خلقه، هذه قمّة العقيدة في آية الكرسيّ، أوّل عنصر من عناصر الإيمان يُطَمئن إلى أمرين:

- الأمر الأوّل: بأنّه حيّ لا يموت.

- والأمر الثّاني: أنّه بيده مقاليد كلّ شيء، قائم عليها، قيّوم على صيرورتها وعلى شؤونها والإشراف عليها.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: السّنة: هي بداية النّعاس، فاطمئن ونم؛ لأنّ ربّك لا ينام ولا تأخذه سِنة، ليس النّوم فقط، حتّى بدايات النّعاس لا تطرأ عليه.

لماذا يبقى عليك من الله ﷻ حافظ إذا قرأت آية الكرسيّ؟ لأنّ بدايتها: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فيسري الإيمان

والاطمئنان والسّكينة إلى قلبك من مجرّد سماعك لأوّل آية الكرسيّ، هو حيّ لا يموت، هل تخاف الموت؟ هو حيّ لا يموت فلا تخف من الموت، خائف من المستقبل؟ خائف من الحاضر؟ خائف من فلان؟ هو قيّوم على شؤون خلقه، وأنت تغفل وهو لا يغفل، تنام ولا ينام، تنعس ولا ينعس.

﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: هو ليس فقط حيّ وقيوم ولا تأخذه سنة ولا نوم، لكن كلّ ما في السّماوات والأرض له، ﴿لَّهُۥ﴾ إذاً هي ملكه، ملكيّته، متصرّف بها.

﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾: الشّفاعة لا تكون إلّا بإذنه، والشّفع يكون من اثنين، فلو فرضنا أنّ شخصاً يريد أن يحمل شيئاً فيأتي معه شخص آخر فيحمل معه، هذا معنى الشّفع. هنا جاءت الشّفاعة بمعنى أن يحمل معه مشكلته أو ذنبه شخص آخر، فإذاً لا يستطيع أحد أن يشفع إلّا بإذنه.

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾: يعلم ما بين أيديهم: يعني أمامهم وما الّذي يجري الآن، وما خلفهم: أي ما هو غيب عنهم، إذاً يعلم السّرّ وأخفى، يعلم الغيب والحاضر والمستقبل، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والمستور عنهم، يعلم الظّاهر والباطن يعلم الحاضر والغائب يعلم المستقبل والماضي.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ﴾: الإحاطة شيء والعلم شيء آخر، فلا أحد يستطيع الإحاطة بشيء من علمه.

﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: فعندما يشاء الله ﷻ تحدث المعجزة، مثلاً نظريّة نيوتن، نظريّة فيثاغورث، نظريّة الفضاء، نظريّة الذّرّة، هي موجودة، لكن شاء الله أن تظهر على يد فلان، الجاذبيّة هل ذلك العالِم اخترعها أم اكتشفها؟ طبعاً اكتشفها ولم يخترعها فهي موجودة.

﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: الكرسيّ: سمّيت أعظم آية في القرآن الكريم نسبة إلى هذه الكلمة: الكرسيّ، فإلى ماذا تشير؟ أي: وسع سلطانه، وسعت قدرته، ملكه، الكرسيّ إشارةٌ وكنايةٌ عن عن السّلطة وعن الاستقرار في السّلطة، والدّيمومة. ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ فإن كان كرسيّه وسع السّماوات والأرض، سلطانه يسع السّماوات والأرض، فأنت ما الّذي يخيفك في السّماوات والأرض؟

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾: ما معنى يؤوده؟ أي لا يثقله حفظ السّماوات والأرض، لا يزعجه ولا يتعبه ولا يثقل عليه حفظهما.

لا يوجد مسلم إلّا ويحفظ هذه الآية، لا يوجد مسلم إلّا وهذه الآية موجودة على جدران مكتبه أو على جدران منزله أو في سيّارته أو...؛ ففيها قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾، فكلّ النّاس يؤمنون إيماناً قطعيّاً بعظمة وفائدة وإحاطة هذه الآية العظيمة، لكن من أحد أسباب أنّها أفضل وأعظم آية في كتاب الله أنّها الآية الوحيدة التي اشتملت -كما قال بعض العلماء- على أكثر من ستّة عشر اسماً من أسماء الله الحسنى، وعلى قول بعضهم: واحد وعشرين اسماً، وقد قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ

بِهَا﴾ [الأعراف: من الآية ١٨٠]، وبما أنّ صفات الله الرّحمن الرّحيم، وأسمائه مكتنزة في هذه الآية فلذلك هي الآية التي نتمسّك بها من أجل حفظنا، وخصوصاً إن قرأها الإنسان قبل نومه. إذاً أين هي هذه الأسماء الحسنى؟

نبدأ بعدّ بعض الأسماء:

١- ﴿ٱللَّهُ﴾.

٢- ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: الضّمير عائد عليه.

٣- ﴿ٱلْحَيُّ﴾.

٤- ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾.

٥- ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ﴾: الهاء ضمير عائدٌ عليه.

٦- ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: الهاء ضمير عائدٌ عليه.

٧- ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ﴾: الهاء عائدة إلى اسم الجلالة الله ﷻ.

٨- ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: الهاء.

٩- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: الضّمير في يعلم.

١٠- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾: الهاء في علمه.

١١- ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: الضّمير في شاء.

١٢- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: الهاء في كرسيّه.

١٣- ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾: الهاء في يؤوده.

١٤- ﴿وَهُوَ﴾.

١٥- ﴿ٱلْعَلِيُّ﴾.

١٦- ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾.

أرأيتم أسماء الله ﷻ المكتنزة في هذه الآية؟! عدّدت الآن ستّة عشر اسماً ضمن هذه الآية العظيمة، وفي البخاريّ عن السّيّدة عائشة ﵂: أنّ النّبيّ ﷺ بعث رجلاً على سريّة وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، فلمّا رجعوا ذكروا ذلك للنّبيّ ﷺ، فقال: «**سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك؟**»، فسألوه فقال: لأنّها صفة الرّحمن، وأنا أحبّ أن أقرأ بها، فقال النّبيّ ﷺ: «**أخبروه أنّ الله يحبّه**»(١)، يقرأ بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وآية الكرسيّ اشتملت على كثير من صفات الله تبارك وتعالى؛ لذلك هي أعظم آية في كتاب الله ﷻ، هذا بعض أسرار آية الكرسيّ، وليس كلّ الأسرار، لماذا؟ لأنّ كمالات كلام الله تتعلّق بصفات الله، فالقرآن كلام الله، وكلام الله هو صفّة من صفات الله؛ فلذلك لا نستطيع أن نصل إلى الكمالات الإلهيّة من خلال القرآن الكريم، وإنّما هذا ما كُشف لنا من أسرار هذه الآية العظيمة.

(الآية ٢٥٦) - ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾:

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّوحيد، باب ما جاء في دعاء النّبيّ ﷺ أمّته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، الحديث رقم (٦٩٤٠).

بما أنّ كلّ هذه الصّفات لله وردت في آية الكرسيّ فقد جاءت بعدها أهمّ آية في العقيدة الإسلاميّة على الإطلاق، وهي قوله ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، وهذه هي الآية التي نحتجّ بها على التّكفيريّين وعلى كلّ الحركات الإرهابيّة التي استخدمت العنف والسّلاح طريقاً للدّعوة؛ لأنّ طريق الدّعوة يحدّده ربّ الدّعوة، الله هو الّذي حدّد طريق الدّعوة إليه فقال جلّ وعلا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النّحل: من الآية ١٢٥]، لماذا هذا هو طريق الدّعوة؟ لأنّ الاعتقاد لا يكون بالإكراه، فأيّ نظريّة أو أيّ عقيدة إذا كنت مؤمناً بصحّتها اعرضها على النّاس ولا تجبر النّاس عليها، فإذا أجبرت النّاس عليها معنى هذا أنّك تشكّ في صحّة هذه العقيدة؛ لذلك لا يمكن أن يوجد في الدّين إكراه أو إجبار، ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أنت حرّ في أن تؤمن أو لا تؤمن، قال ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: من الآية ١٨]، وقال ﷻ في سورة (يونس): ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس]، لو شاء الله ﷻ لكان كلّ النّاس طائعين، يفعلون ما يؤمرون، لا يعصون الله ما أمرهم، كما خَلَق الملائكة، إذاً فالله ﷻ أراد الاختيار ولم يرد القسر والإجبار على الدّين، فالاختيار أساس العقيدة الإسلاميّة: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾[الغاشية]، إذاً هذا معلوم لنا جميعاً، ولماذا نركّز على هذا الجانب العقائديّ؟ لأنّه هو الأساس الآن في استخدام الحركات التّكفيريّة والإرهابيّة والمتطرّفة السّلاحَ

والعنفَ والإرهابَ لإجبار النّاس على متطلّبات الدّين وعلى الإيمان، وهذا لم يكن في يوم من الأيّام، وأكبر دليل على ذلك أنّ الفتوحات الإسلاميّة والتي تمّت عبر زمن السّلف والتي قادها صحابة رسول الله ﷺ تركت النّاس على أديانهم في صوامعهم وفي كنائسهم وفي معابدهم، ولم تجبر أحداً على الدّخول في دين الإسلام، هم يقولون: إنّنا حملنا النّاس على الإسلام بالسّيف، فالّذين يطلقون هذا القول ينسون أنّ نصف فترة الدّعوة الإسلاميّة كانت في فترة ضعف، فالمسلمون لم يكونوا قادرين أن يحموا أنفسهم حتّى يحملوا السّيف على غيرهم، كانوا مضطهدين ومعذّبين ومشرّدين، وكان أحدهم يُسحَل في الرّمل كسيّدنا بلال رضي الله عنه، هكذا كان صحابة رسول الله فكيف يكون الإجبار على الدّين؟! من ستجبر وأنت في أضعف الحالات؟ إذاً ألم تمرّ هذه الفترة على الدّعوة الإسلاميّة؟ هل يستطيع أحد أن يُنكر بأنّ الفترة المكيّة من الدّعوة الإسلاميّة كانت فترة ضعف؟ فإذاً كيف انتشر الإسلام بالسّيف؟ فهذا كذب محض، وهذا افتراء على دين الإسلام وعلى التّاريخ الإسلاميّ والعربيّ أيضاً، وهو كذب أراده فقط أعداء الإسلام من الصّهاينة ومن الغرب الّذين أرادوا أن يصوّروا الإسلام بأنّه الإرهاب، وأنّ الإسلام هو الإجبار على الدّين، لكن هنا يجب أن نفرّق بين أمرين هامّين:

– أنّه لا إكراه في الدّين، فأنت حرّ بأن تدخل في الإسلام أو لا تدخل، وكلّ الآيات القرآنيّة تؤيّد هذا النّصّ القطعيّ الّذي نحن الآن بصدد تفسيره: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، والمراد ترك النّاس على معتقداتهم وعدم إجبارهم

على معتقداتنا، إذاً أنت غير مُجبر على اعتناق الدّين.

– أمّا متطلّبات الدّين، فإن اخترت الدّين فعليك أن تأخذ بها، معنى هذا الكلام أنّ الدّين يقول لك: لا تكذب، فعندما تقول: أنا اخترت الدّين فعليك الالتزام بمتطلّبات الدّين فعليك ألّا تكذب، ولاتغتاب، ولا تقتل، ولا تسرق، ولا تزني، ولا تشرب الخمر، ولا ترتكب الموبقات.. صلّ صم آت الزّكاة أدِّ الحجّ، افعل كذا لا تفعل كذا هذا حلال وهذا حرام، هذه متطلّبات الدّين وليست هي الدّين.

إذاً أنت حرّ في أن تختار الدّين أو لا تختاره، ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: من الآية ١٨]، لكن إن اخترت الدّين لا تقل إنّني مسلم وأنت كاذب، لا تقل إنّني مسلم وأنت سارق، لا تقل إنّني مسلم وأنت زان، لا تقل إنّني مسلم وأنت قاتل...، فإذاً لا يكون هنا إجبار وإنّما هو في دائرة الاختيار؛ لأنّك أنت اخترت الدّين، فالعبادة هي طاعة الله، بماذا أمرني؟ وأنا آمنت بأنّ محمّداً رسول الله، ما هي الرّسالة التي جاءني بها محمّد؟ فإذاً أنا عندما اخترت وعندما آمنت وعندما اعتقدت من دون إجبار ولا إكراه ولا ضغط، فعليّ أن أرى ما هي متطلّبات هذا الدّين وأتّبعها، وإلّا فإنّنا سنعطي أبشع صورة مشوّهة عن الإسلام.

﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾: طريق الرّشاد هو الطّريق الصّحيح: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٣]، هذا طريق الرّشاد الّذي أرشدنا إليه المولى ﷻ وبيّنه لنا رسول

الله ﷺ من خلال القرآن، ومن خلال نهج وعمل وسنّة وأقوال وأفعال وإقرار سيّدنا رسول الله ﷺ، إذاً ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ تبيّن الصّواب من الخطأ، تبيّن الحقّ من الغواية، تبيّن الحقّ من الباطل.

﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: عندما نقرأ القرآن ونفسّره يجب أن ننتبه إلى نقطة هامّة هي أنّ القرآن الكريم كلام الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النّساء: من الآية ٨٢]، ولو كان العقل البشريّ يريد أن يتحكّم فالعقل البشريّ يقول لك: فمن يؤمن بالله ويكفر بالطّاغوت، ولا يقول: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، لماذا قدّم الكفران بالطّاغوت على الإيمان بالله؟ طبعاً هنا مبدأ التخلية قبل التّحلية، ما معنى هذا الكلام؟ الطّاغوت صيغة مبالغة من طغيان أي جبروت، (طاغوت) كاسم يمثّل الشّيطان ويمثّل الشّرور والآثام فإذاً من يكفر بالطّاغوت، من يخلّ هذه النّفس عن عوامل استجلاب الشّيطان والتي على رأسها الطّغيان ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾؛ لأنّك قد تؤمن بالله ﷻ ولا يزال هناك جوانب في نفسك لم تكفر بالطّغيان والطّاغوت، فإذاً أنت لم تستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، الاستمساك بالعروة الوثقى شرطها أن تخلّي النّفس من الرّذائل قبل أن تحلّيها بالفضائل، أن تبعد عناصر استقدام واستجلاب مكائد وحبال الشّيطان إلى نفسك؛ لذلك ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾.

﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾: لم يقل: تمسّك بل قال: استمسك، إذاً هي عمليّة مجاهدة، استمسك: تعني أنّ شيئاً سيفلت منك وأنت تحاول أن تتمسّك به، فإن قلنا: تمسّك بالحبل، أي الحبل بين يديك تمسكه، أمّا إن قلت: استمسك معناه أنّ الحبل يأتي ويذهب أو أنت تأتي وتذهب، وعليك أن تستمسك به، هكذا تماماً مجاهدة النّفس بالنّسبة للدّين، وبالنّسبة لإبعاد عوامل الطّاغوت والطّغيان عن النّفس البشريّة.

﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾: العروة: هي العقدة التي توضع على الدّلو ليُمسَك منها الّذي يُخرَج به الماء من البئر، هذا ما يُسمّى العروة، وكأنّه يوجد تمثيل أمامك بأنّه يوجد ماء؛ لأنّ في الماء حياة البدن، والدّين هو حياة القيم، فكأنّك تتخيّل العروة الوثقى التي تُمكِّنك من إخراج الماء الّذي لا بدّ منه لحياة البدن، كذلك هو الاستمساك بالدّين لحياة القيم، هل رأيتم دقّة المعنى القرآنيّ؟

﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾: ما الفرق بين انقسام وانفصام؟ كلمة (انفصام) معناها انفصام داخليّ، أمّا (انقسام) معناها خارجيّ، سأضرب لك مثلاً، انقطعت يد أحدهم أو انكسرت، فإذا انفصل السّاعد عن الزّند وصارت قسمين هذا اسمه انقسام، أمّا الانفصام يبقى الشّكل الخارجيّ لكن يكون الانفصال من الدّاخل، العروة الوثقى لا انفصام لها حتّى من الدّاخل، هذه العروة الوثقى لا يمكن أن تنفصم؛ لأنّك تخلّيت عن الرّذائل وتحلّيت بالفضائل واستمسكت بحبل الله المتين.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: لأنّ الله ﷻ يسمع ما تقول؛ لأنّ الإنسان يصدر عنه قول وفعل، فالله ﷻ سميعٌ لما تقول وعليمٌ بما تفعل.

(الآية ٢٥٧) - ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: إذا استمسك الإنسان بالعروة الوثقى فعلاً، وآمن بالله ﷻ فلتكنْ ولايته لله ﷻ، وعندما يقول الله ﷻ: إنّه هو وليّ الّذين آمنوا، فإذاً نم مطمئنّاً وكن في كونه مطمئنّاً؛ لأنّه لا يخرج في هذا الكون أمر عن مشيئته ﷻ، فالّذي يستمسك حقّاً بالعروة الوثقى فالله ﷻ يكون وليّه، ونعم المولى ونعم النّصير.

﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾: الظّلمات جمع ظلمة، والنّور مفرد، لم يقل: إلى الأنوار، لماذا لم يقل: يخرجهم من الظّلمة إلى النّور؟ أو من الظّلمات إلى الأنوار؟ انظر لدقّة الأداء القرآنيّ أتى بجمع وأتى بمفرد، ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ لأنّ الظّلمات متعدّدة، ونور الإيمان هو نور واحد، أمّا الجهل والشّرك والظّلم والمعصيّة و... و... فهي ظلمات متعدّدة، ليست ظلمة واحدة، ومصادر الشّرّ متعدّدة، ومصدر الخير واحد هو الله تعالى؛ لذلك يخرجهم من الظّلمات إلى النّور، وليس من الظّلمة وليس إلى الأنوار، ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ

زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النّور]، اسمها سورة (النّور) وليس سورة الأنوار.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾: أولياؤهم الطّغاة، أولياؤهم الأشرار، أولياؤهم الشّياطين؛ لأنّ الشّياطين متعدّدة، هناك شياطين الإنس وشياطين الجنّ، وليس هناك شيطان واحد؛ لذلك أولياؤهم يخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الجهل والشّرك والظّلمة والفساد و....

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: إذاً أولئك الّذين اتّبعوا الطّاغوت، والّذين اتّبعوا الشّرور، والّذين خرجوا من النّور الإيمانيّ والنّور الإلهيّ، والّذين عاثوا في الأرض ظلماً وفساداً وطغياناً، أولئك أصحاب النّار، هم الّذين اختاروا هذه الصّحبة؛ لأنّ الصّاحب يختار صاحبه فهم الّذين اختاروا النّار، هم فيها خالدون، كما هي مشيئة الله ﷻ.

(الآية ٢٥٨) - ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾:

لماذا هذا الانتقال المباشر إلى قضيّة تتعلّق بالحياة والموت، لو أنّنا عدنا إلى الآيات السّابقة التي تتحدّث عن طالوت وجالوت وعن دفع المولى ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥١]، كلّ هذه الآيات التي أُنزلت على الرّسل، وكلّ هذه الأمور البيّنة، هناك

قضيّة أساسيّة كانت دائماً تقف حائلاً أمام الرّسل وأمام هداية أقوامهم هي قضيّة الموت والحياة، وهي ما زالت حتّى الآن، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لسبب واحد وهو أنّ الموت لم يستطع أحد، ولن يستطيع أحد أن يتأبّى عليه، ولا أن يعرف مكنونه أو ماهيّته، أو أن يتحكّم بوقته أو زمانه أو مكانه، انظروا إلى كلّ الاكتشافات، وكلّ العلم، وكلّ الحروب، وكلّ ما يجري على الأرض الآن وسابقاً وسيبقى لاحقاً، مناطه أمر واحد فقط هو التّمسّك بالحياة، لماذا هذه الدّول تطغى على هذه الدّول؟ لماذا هذه الدّول تحتلّ هذه الدّول؟ لماذا هؤلاء يقتلون هؤلاء؟ كلّ ذلك من أجل أمر واحد فقط هو التحكّم بالحياة وتملّكها، وهذان الأمران بيد الله، لم يستطع أحد أن يتأبّى على مَلَك الموت، فمَلَك الموت يأتي للكبير والصّغير، والصّحيح والسّقيم، والقويّ والضّعيف، والأمير والمأمور.. للجميع: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرّحمن]، وكلّ دعوة الأنبياء كانت تُواجه بموضوع: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: من الآية ٨٢]، كلّ الآيات وكلّ الجدل الّذي تمّ بين الأنبياء وبين الأقوام الّذين جاؤوا إليهم بالهداية كان أساسه موضوع الموت والبعث بعد الموت.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: النّبيّ محمّد ﷺ لم ير سيّدنا إبراهيم، ولم ير هذه المناقشة وهذا الحوار، ولتعلموا بأنّ الأديان من الله ﷻ جاءت بالعقل والمنطق والحوار والحجّة الدّامغة والبالغة وليست بالقهر والإكراه، فبعد قوله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أتت آية مع مَلِك من أشدّ الطّغاة على وجه الأرض وهو النّمرود،

الله ﷻ هنا لم يبين لنا من هو الملك، لكنّه تحدّث عن الخليل إبراهيم عليه السلام، ففي القصص القرآنيّ الله ﷻ لا يشخّص، ولا يريد أن يخلّد الحدث ولا الأشخاص ولا القصّة ولا الزّمان، هو يريد أن يخلّد العبرة، فعناصر القصّة القرآنيّة تختلف عن عناصر القصّة البشريّة، عناصر القصّة البشريّة تتعلّق بالأشخاص والأحداث والأزمنة والأماكن، أمّا القصّة القرآنيّة فلها عمود واحد وهو العبرة والعظة والسّنّة الكونيّة المستخلصة من القصّة التي جرت وستعود أو سيعود جريانها في كلّ مرحلة من الأزمان، والدّليل على ذلك أنّ هذه المناقشات التي تمّت وهذا الحوار الرّائع الّذي نقله القرآن عبر مئات القرون للنّبيّ ﷺ ما زال يجري معنا حتّى هذه اللّحظة، ووسيلة العلم بالنّسبة للأمر التّاريخيّ هو السّماع، ألم تسمع؟ أو ألم تر؟ والرّؤية أصدق من السّمع، وليس مع العين أين؟ طالما أنّك رأيت، فعندما تُستخدم الحواسّ ما بين العين والأذن ومابين أنّك تعلم الخبر عين اليقين أو سماع الخبر الصّادق، فإذا كان المخبر الّذي أخبرك بقصّة ما هو خالق الحواسّ إذاً خالق الحواسّ أصدق من الحواسّ؛ لذلك ينتقل الخبر من مرحلة السّماع إلى مرحلة أشدّ وضوحاً من الرّؤية؛ لذلك يقول لسيّدنا رسول الله ﷺ: ألم تر يا محمّد، هو لم ير إبراهيم ولم ير النّمرود، ولم يسمع، لكن إخبار الله أوثق من رؤية عينيه.

﴿إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾: حاجّ أي حاجج الجيم مشدّدة، إذاً محاجّاة، مناقشة، حوار بين شخصين، ولو أنّ بشراً كتب القرآن لا يمكن على الإطلاق أن يروي قصّة النّمرود مع الخليل

إبراهيم بهاتين الكلمتين، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ لم يقل: إنّه مَلِك، ولم يقل: إنّه نمرود، بل قال: ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، لم يقل: لأنّه مَلِك؛ لأنّه بشر؛ لأنّه نمرود... أبداً، بل قال: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ هذه الجملة لا يمكن أن تصدر عن بشر أبداً، فالمدخل الّذي أملى على النّمرود أن يناقش في ألوهيّة الله هو أنّ الله آتاه المُلك، فطغى في نفسه، إذاً هو لم يسمّه باسمه النّمرود؛ لأنّ التّسميّة ليست هي المهمّة، بل المهمّ أنّ أيّ إنسان يؤتى سعة من المُلك أو من المال يطغى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق]، إذاً هل يطغى الفقير المعدم الّذي يسكن كوخاً؟ أم أنّ الّذي يطغى هو الإنسان الّذي يكون تحت يديه كنوز وملايين وقصور و... هذا مفتاح الطّغيان ومفتاح الشّكّ؛ لأنّه يعتقد أنّه بالمال يشتري كلّ النّاس ويفعل ما يشاء، ولا يوجد من يفعل ما يشاء إلّا الواحد الأحد، لا أحد فعّال لما يريد إلّا هو، إذاً ندخل هنا إلى النّقاش وجلسة الحوار التي نفهم منها أنّ نفس النّمرود تنمردت على الله وطغت وتجبّرت أن آتاه الله الملك، وعوضاً عن أن يكون طائعاً وعبداً لله أصبح متمرّداً على ألوهيّة الله ﷻ وعلى ربوبيّته.

﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾: حذف القرآن أمراً تركه لذهنيّة قارئ القرآن، وبما أنّ هذا الرّجل عنده طغيان قال لإبراهيم: مَن ربّك؟ هذه ليست قصّة بشريّة حتّى يكون فيها تفاصيل كبيرة، إنّما يتّجه السّياق القرآنيّ إلى ما هو العظة والعبرة لتخلد، سأل النّمرود إبراهيم: مَن

ربّك؟ فقال إبراهيم: ربّي الّذي يحيي ويميت، أحضر لنا جواب إبراهيم ليأتينا سؤال النّمرود، لماذا؟ لأنّ إبراهيم عليه السلام ككلّ البشر يعلم أنّ الحياة والموت بيد الله وأنّها لا تكون بيد بشر على الإطلاق؛ فلذلك استدلّ بالنّقاش والحوار إلى أهمّ شيء ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، فماذا أجاب النّمرود؟

﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾: طبعاً بمنظار النّمرود طلب اثنين من السّجناء وقال: هذا أمرت بقتله فإذاً أنا أمتّه، وهذا أطلقت سراحه فإذاً أنا أحييته: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾، سيّدنا إبراهيم عليه السلام لم يدخل بهذه السّفسطائيّة في النّقاش، رغم أنّ الّذي يحيي ويميت هو الله وحده، ولا يستطيع أحد أن يحيي ويميت، والّذي يقتل لا يميت، وهو لا يستطيع أن يحيي طبعاً، فإن أبقاه على قيد الحياة هذا لا يعني أنّه أحياه، فالحياة إيجاد من عدم، أمّا النّمرود فقد اعتبر أنّه إذا لم يأمر بقتله فقد أحياه، وعندما أمر بقتل فلان فقد أماته، وهناك فارق بين الموت وبين القتل، صحيح أنّهما يشتركان في أمر واحد وهو خروج الرّوح، لكن هناك اختلاف، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٤]، فالموت شيء والقتل شيء آخر، القتل هو تخريب البنية التي تحتوي الرّوح، والرّوح لا تسكن إلّا في بنية معيّنة فإذا خُرّبت فارقتها الرّوح، أمّا الموت فإنّك تموت من دون سبب، تخرج الرّوح ويتبعها فساد البنية:

ومن لم يمت بالسّيف مات بغيره تعدّدت الأسباب والموت واحد

تموت بكلمة ﴿كُن﴾، مُتْ فيموت من غير أن تسمّمه أو تذبحه أو تطلق عليه النّار أو تلقيه، هذا هو الموت؛ لذلك سيّدنا إبراهيم عليه السلام لم

يدخل مع النّمرود بهذا النّقاش السّفسطائيّ وإنّما نقله إلى أمر لم يستطع أن يدّعيه لنفسه: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ بهت: دُهش وأسقط في ما بين يديه، فبهت النّمرود عندما جاءه بأمر لا يستطيع أن يدّعيه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، وهذه آية كونيّة لا يستطيع النّمرود أو غيره أن يدّعيها وهو لا يستطيع أن يدّعي ملك، أو سلطان الحياة والموت أيضاً، لكنّه قارب وضلّل في موضوع الحياة والموت.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: يوجد عدّة آيات آية تقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٨]، وآية تقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٤]، فقد يقول قائل: ما ذنب الظّالمين والفاسقين إذا الله لم يهدهم؟ والله يجيب ويعطي القانون: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذاً الّذي يظلم لا يهديه الله، فلا تظلم حتّى يهديك الله، فالهداية لا تأتي إلى ظالم ولا فاسق ولا عاصي.

(الآية ٢٥٩) - ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾:

ألم تر يا محمّد إلى الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، وكذلك ألم تر يا محمّد إلى الّذي مرّ على قرية؟

﴿قَرۡيَةٖ﴾: القرية مكان فيه مجموعة مساكن فيها مجموعة من النّاس.

لكن من الّذي مرّ على القرية الخاوية على عروشها؟ قال معظم المفسّرين: إنّه عُزير، وهو نبيّ من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، لكنّ القرآن الكريم لم يحدّد لنا إن كان عزيراً أو غيره؛ لذلك ندع ما لم يبيّنه لنا القرآن ونأتي إلى الجانب الّذي يريده.

﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾: إذاً القضيّة هي بما يتعلّق بالحياة والموت، قال قبلها: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾، وهنا: ألم تر يا محمّد إلى الّذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها: أي أنّ هذه القرية كلّ من فيها ميّت، الأسقف واقعة على الأرض لا يوجد فيها أيّ حياة على الإطلاق، قال الّذي مرّ على هذه القرية: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ﴾ أنّى: تأتي بمعنى كيف، إذاً هو لم يشكّك بالإماتة والإحياء من الله، وإنّما هو يتساءل عن الكيفيّة، كيف يحيي هذه الله بعد موتها؟

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ﴾: قال له: مت، فأماته الله مئة عام ثمّ بعثه، بقي ميّتاً مئة عام حتّى يكون جواباً على كيفيّة إحياء الموتى.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾: لماذا ثمّ ولم يقل: فبعثه؟ لأنّه يوجد فاصل مئة عام، ثمّ للتّراخي، مرّ مئة عام وهو ميّت ثمّ أحياه الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾: فهذه معجزة حتّى تكون درساً للبشريّة، عندما بعثه الله ﷻ بعد مئة عام وهي دلالة على البعث، كما جاء في قصّة البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: من الآية ٧٣]، كثرة هذه المعجزات كانت تتنزّل على الأنبياء وخصوصاً أنبياء بني إسرائيل، بعثه الله بعد مئة عام ثمّ قال له: كم لبثت؟ هل تحدّث معه الله مباشرة؟ أو أنّ هناك من قال له؟ أو أنّ الملائكة هم الّذين قالوا؟ الله تعالى لم يبيّن لنا، فإذاً نحن لا نلتفت إلّا إلى ما أراد الله لنا أن نلتفت إليه.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: وهو صادق فيما قال، هو نظر إلى جسده ونظر إلى طعامه فوجده لم يتغيّر، شعره لم يشب، وأظافره لم تطل، وشكله كما هو، فقال نمت يوماً أو بعض يوم، هكذا قدّر.

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ﴾: والدّليل على أنّك لبثت مئة عام فانظر إلى أمرين:

١- ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيّر لا لونه ولا طعمه ولا أيّ شيء، وهذا دليل على صدق إجابتك أنّها يوم أو بعض يوم.

٢- ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾: الحمار يدلّ على أنّه نام مئة عام؛ لأنّ الحمار لم يكن فقط ميّتاً، بل كان ميّتاً وقد ذهب لحمه وأصبح عظاماً موزّعة مفرّقة.

هناك إذاً أمران هامّان: - الأمر الأوّل: هو أنّ الطّعام والشّراب لم يتسنّه ولم يتغيّر، بل بقي كما هو ولم تجر عليه سنّة الفساد بعد المئة عام، وهذا إعجاز وآية من آيات الله ﷻ.

– الأمر الثّاني: أنّ الحمار جرت عليه سنّة الفساد بعد المئة عام.

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا﴾: معنى ننشزها: نرفعها. إذاً كان ينظر كيف ترتفع عظام الحمار من مكانها، وكيف تتركّب عظمة عظمة؟! وكيف يكسوها الله ﷻ لحماً؟!

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: هو كان يعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير، لكن هنا العلم أصبح عين اليقين مع علم اليقين، الآن انتقل العلم من مرحلة علم اليقين إلى عين اليقين، رأى بعينيه كيف يحيي الله هذه بعد موتها، وقلنا: إنّ هناك ثلاث مراتب:

– علم اليقين.

– وعين اليقين.

– وحقّ اليقين.

(الآية ٢٦٠) – ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعٗا مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠﴾:

مازلنا بنفس الموضوع، وكثير من النّاس يستند إلى هذه الآية بأنّ إبراهيم قال: أرني كيف تحيي الموتى؟ ويتساءلون: حتّى إبراهيم كان عنده شكّ؟

الجواب: طبعاً لا، لننظر إلى دقّة الأداء القرآنيّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ

﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، إذاً هو كان مؤمناً إيماناً قطعيّاً أنّ الله ﷻ يحيي الموتى، كما أنّك إذا ذهبت إلى بنّاء وقلت له: كيف بنيت هذا القصر العظيم؟! أنت تشاهد القصر أمامك ومتأكّد من وجوده، لكنّك تطلب منه أن يُريك كيف بناه وكيف وضع الأعمدة وكيف وضع الإسمنت المسلّح وركّبها على بعضها حتّى استكمل هذا البناء، إذاً هو يرى ويؤمن إيماناً مطلقاً بأنّ هذا القصر موجود، ولكنّه يسأل عن الكيفيّة، وهكذا سؤال سيّدنا إبراهيم عليه السلام؛ لأنّ هناك تخيّلاً عنده لهذه الكيفيّة، ودلّل على ذلك سيّدنا إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ إلى التّصوّرات التي كنت أتصوّرها حول إحياء الموتى هذا هو المعنى؛ لأنّه قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وإلّا كانت أتت الآية بهذا الشّكل: (إذ قال إبراهيم ربّي أرني أتحيي الموتى)؟ هو لا يشكّ بأنّ الله ﷻ قادر على إحياء الموتى ولكن سؤاله عن كيفيّة إحياء الموتى.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: صرهنّ: أي اجمعهنّ إليك. والمراد أحضر أربعة من الطّيور واجمعها أمامك.

﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾: يعني قطّعها أجزاءاً، وضَعْ على كلّ جبلٍ جزءاً، ليريه الله ﷻ كيف يحيي الموتى.

﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: لماذا قال: يأتينك سعياً وليس طيراً؟ أنت ادعوهم أي اطلبهم، لماذا لم يقل: أحيهم أنت؟ لأنّ الإحياء والإماتة بيد الله وحده، حتّى سيّدنا المسيح عليه السلام عندما أعطاه الله ﷻ معجزات قال:

﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ٤٩]، إذاً هو لا يحيي الموتى وإنّما بإذن الله أي بأمر الله، فإذاً هنا المولى ﷻ أعطى سيّدنا إبراهيم القدرة على تكليم الطّير فقط، إذاً سيفهم الطّير عن الخليل إبراهيم وسيأتي يسير سعياً وليس طيراناً حتّى لا يختلط الأمر ما بين الطّيور ويعتقد إبراهيم أنّه طير آخر، إذاً هناك طلاقة المشيئة لله ﷻ بأنّه أعطى خاصيّة للخليل إبراهيم بأنّه يدعو الطّير ويُسمع الطّير ويمتثل الطّير لأمر إبراهيم ويأتي سعياً.

﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾: العزيز الّذي لا يُغلب، المستغني عن عبادة خلقه، ومعظم الأحيان تأتي مع صفة العزيز صفة الحكيم، لماذا؟ لأنّ الله ﷻ عندما يأمر بأمر ما فهو يأمر بعزّته، انظر إبليس عندما طلب من الله ﷻ أن يمهله في الدّنيا وأن يترك له مجالاً ليغوي بني آدم، بأيّ صفة من صفات الله طلب ذلك؟ قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ [ص]، أي باستغنائك عن عبادة خلقك يا ربّ، أنت لا ينفعك عملهم، إن أطاعوك أم عصوك، إذاً طرق الباب من باب العزّة، والله ﷻ يقول في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**»[1]، وحكيم؛ لأنّ كلّ الأمور وكلّ المقادير تجري بحكمته ﷻ.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

(الآية ٢٦١) - ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾:

الآيات السّابقة تحدّثت عن كيفيّة إحياء الموتى، قلت لكم: إنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من لدن بشر، فأيّ كتاب يكتبه بشر فلا بدّ من أن يكون هناك وحدة أو تسلسل في الموضوع وفق العقل البشريّ، القرآن الكريم فيه وحدة في الموضوع وفيه تسلسل ولكن حسب القدرة الإلهيّة، وليس حسب العقل البشريّ، وهذا هو الفارق، حسب العقل البشريّ ما علاقة الإنفاق وشحّ النّفس بالموضوع الّذي سبق؟ الموضوع الّذي سبق مشهد من حوار الخليل إبراهيم عليه السلام مع النّمرود، فكأنّك كنت مع قصّة قرآنيّة ومع قضيّة تتعلّق بقصّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام، لكن الموضوع أو القصص القرآنيّ ليس قصصاً بشريّاً وإنّما هو للعبرة، ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: من الآية ١١١]، هو عبرة وعظة ليستمرّ عبر الزّمان والمكان، ووحدة الموضوع حسب القدرة الإلهيّة هو وحدة التّكاليف الإيمانيّة ووحدة معالجة دخائل النّفس البشريّة، أنت كإنسان تكتب موضوعاً وتجعل له أبواباً فتضع سورة إبراهيم، سورة يوسف، سورة محمّد، سورة هود، سورة يونس، سورة موسى، سورة عيسى، وهكذا.. ثمّ تجعل باب الزّكاة، باب الحجّ، باب الجهاد، باب الإنفاق، باب برّ الوالدين، باب الأخلاق... فتقسّم المواضيع حسب العناوين، أمّا في إعجاز البلاغ البيانيّ فيما يتعلّق

بالقرآن الكريم فالقرآن كلام ربّ البشر للبشر فإذاً هو يعالج النّفس البشريّة فيأتي لها من كلّ المداخل وبكلّ المواضيع، ولا يوجد هناك حسب عقلك وحدة في الموضوع، ولكن حسب الإرادة الإلهيّة هذا ممكن، فكما أورد لك قصّة تتعلّق بكيفيّة إحياء الموتى وبنقاش جرى بين الخليل إبراهيم وبين النّمرود فهو أيضاً يعالج مباشرة معك ما يتعلّق بالإنفاق وبشحّ النّفس، فالوحدة الإيمانيّة واحدة، فإذا سألت: ما علاقة هذه بهذه؟ العلاقة أنّك إنسان تتلقّى عن ربّ الإنسان، وهو يعالج كلّ أدواء البشر الفكريّة والعقليّة والأخلاقيّة والقيميّة.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ إذاً هنا قضيّة تتعلّق بمعالجة شحّ النّفس، يضرب الله لنا الأمثال دائماً ليقرّب للعقل البشريّ القضيّة الإيمانيّة التّكليفيّة المطلوبة منه، مطلوب منك الإنفاق، والإنفاق شيء والزّكاة شيء آخر، الزّكاة فرض وركن من أركان الإسلام.

الآن الحديث يتعلّق بشحّ النّفس والإنفاق بشكل عامّ، هناك آيات متتالية تعالج دخائل الموضوع من كلّ جوانبه سنراها الآن، إذاً يضرب المولى تعالى المثل فيقول: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، الشّرط هو أن يكون الإنفاق في سبيل الله، وكلّ أمر فيه خير فهو في سبيل الله، معالجة مريض، مساعدة فقير، إعالة يتيم، إنقاذ غارم، سداد دَين، إطعام جائع.. كلّه في سبيل الله، وكلّ ما يتعلّق بالمصلحة العامّة فهو في سبيل الله، أمّا

الّذي يُنفق أمواله في سبيل الشّيطان، أي في سبيل الإضرار بالبشر، ونشر الفساد والموبقات، فهذا لا يسمّى إنفاقاً، أمّا الإنفاق في سبيل الله فهو عمل الخير للغير بشكل مطلق.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ ما علاقة إنفاق المال بالحبّة؟ المقصود بالمثل أنّ عندي قمحاً أخذت منه حبّة وألقيتها في الأرض، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ﴾ فهي لا تنبت إن لم ألقها في الأرض وأزرعها، أليس كذلك؟ وبعد أن زرعتها حصدت غلّتها، عندما حصدت سبع سنابل في كلّ سنبلة من هذه السّنابل مئة حبّة، أصبحوا سبع مئة ضعف.

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: إذاً ما الّذي فهمته من هذا المثل؟ يريد الله أن يعطيك درساً يتعلّق بشحّ النّفس، فيقول لك عندما تنفق في سبيل الله أي في سبيل الخير من رعاية الأيتام والفقراء والمحتاجين والمساكين والمقطوعين في الطّرقات والمرضى وفعل الخير للغير والمجتمع: لا تهتمّ لنقص المال؛ لأنّه سيزيد سبع مئة ضعف، أنا أخرجت ليرة فكيف أصبحت سبع مئة؟ أنا أرى أنّ مالي نقص ليرة، فأراد الله ﷻ أن يبيّن لك هذا بضرب المثل، فأنت أنقصت من حبّات القمح التي عندك حبّة زرعتها في الأرض، فصارت الحبّة سبع سنابل في كلّ سنبلة مئة حبّة، فأصبحت الحبّة سبع مئة، فكرة المثل ماذا تعني؟ كأنّ الله ﷻ يقول لك: أنت ترى الأرض وهي مخلوقة لي، وضعت فيها حبّة فأعادت لك سبع مئة حبّة،

ألست أنا بقادر على أن أُضاعف لك سبع مئة ضعف إن أنفقت في سبيلي؟!، فالأرض المخلوقة لله أعطت هذا العطاء فكيف بخالقها؟ فهل تثق بالأرض أكثر من ثقتك بربّ الأرض؟ لماذا أخسرت نفسك حبّة ووضعتها في الأرض؟ لأنّك على يقين أنّ الأرض سترجع لك من الحبّة سبع مئة، لكنّ الله يضاعف لك أضعافاً مضاعفة؛ لأنّ الله ﷻ عطاؤه غير محدود بسبع مئة ضعف، لكن سبع مئة هي للمثل الّذي أراده الله ﷻ. وهكذا عالج الله ﷻ بهذا المثل النّفس البشريّة من الشّحّ الموجود فيها، وجعل للنّفس البشريّة طمعاً بما عند الله وليس بما عند خلق الله.

(الآية ٢٦٢) – ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾:

إذاً تبيّن لي أمر الآن، أنّ المثل حتّى ينطبق له شرط معلّق به، وهو أنّك لا تتبع الإنفاق بالمنّ والأذى.

﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾: لم يقل: (ولا يُتبعون) مع أنّه لو كان بشر الّذي يكتب لقال: (ولا يتبعون)، لماذا جاءت هنا ﴿ثُمَّ﴾؟

ثمّ على التّراخي؛ لأنّك قد لا تمنّ عند العطاء، بل تمنّ بعد مضي زمن؛ لذلك جاءت: ﴿ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾، إذاً الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله عليهم ألّا يُتبعوا ما أنفقوا منّاً ولا أذى حتّى يُقبل ذلك الإنفاق منهم، فطالما فعلت الأمر في سبيل الله فدع الأمر لله، لماذا

اشترط الله ﷻ هذا الشّرط تحديداً؟ لأنّ الإنسان لحظة الإنفاق قد يكون في حالة إيمانيّة، ثمّ تعتريه تغيّرات، فمن الممكن أن يمنّ ويؤذي من خلال هذا العطاء بالكلمة، فأراد الله ﷻ أن يحصّن العطاء والرّزق، وأن يحصّن الإنفاق بأن يكون خالصاً في سبيل الله؛ لذلك فإنّ الّذي يُنفق ويمنّ يخسر خسارتين: الخسارة الأولى: بأنّه خسر المال الّذي أعطاه للفقير، أمّا الخسارة الثّانية: هي بأنّه حوّل هذا الفقير إلى عدوّ له حين تمنّنه من خلال الإنفاق والعطاء.

فبدلاً من أن تعالج قضيّة اجتماعيّة خسرت المال وخسرت مَن أنفقت عليه المال؛ لذلك تخسر خسارتين.

﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: الحقيقة أنّ الّذي يمنّ عندما يعطي هو تصوّر الضّعيف الّذي أنفق عليه، ولم يتصوّر قدرة ربّ الضّعيف، فلو وضع في تصوّره ربّ الضّعيف لم يمنّ ولم يؤذِ، إذاً هناك قاعدة هذه القاعدة هي أنّك تأخذ الأجر ممّن عملت له، هذه قاعدة بشريّة، أنت موظف في الدّولة تأخذ الرّاتب من الدّولة، والطّبيب يأخذ الأجرة من المريض.. وهكذا، إذاً هذا قانون كلّ عمل يكون له أجر ممّن عملت له، فإذا كنت تنفق في سبيل الله إذاً العمل لله فلماذا تمنّ؟ أنت تعطي هذا الفقير، وهذا اليتيم، وهذا البائس، وهذا المحتاج، كيف تمنُّ عليه وهذا العمل في سبيل الله؟ إذا كان في سبيل الله فإذاً اطلب أجرك ممّن عملت له؛ لذلك قال الله ﷻ في تذييل هذه الآية: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ إذاً الأجر من الله عليه السلام.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: إذاً هم لا يخافون من تبعات الإنفاق، ولا يخافون من نقص المال، لا يخافون على ذريّة ضعفاء تركوهم من خلفهم، ولا يخافون على مستقبل من يعولون؛ لأنّهم تعاملوا مع الله وأجرهم عند الله، فإذا أردت ألّا تخاف على مستقبل وريث أو على مستقبل ولد فافعل ما أمر الله به، وهو العمل الصّالح، والدّليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: من الآية ٨٢]، فلا خوف عليهم من نقص المال، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: لن يتعرّضوا لما يحزنهم في الآخرة؛ لأنّهم تعاملوا بالمقياس الحقيقيّ، فهناك مقاييس مختلفة، مقياس ترى فيه الأشياء من خلال اللحظة التي تعيش فيها، ومقياس آخر ترى فيه الزّمن الخالد الباقي، والتي هي ما تعيش وما بعد الموت، فإذاً الّذي تعامل مع الله ﷻ فلا خوف عليه ولا يحزن.

(الآية ٢٦٣) – ﴿*قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾:

﴿*قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾: فإن أعطيت سائلاً صدقة وألحقتها بالمنّ والأذى والإساءة إلى من أعطيت، فالكلمة الطيّبة أفضل بكثير من العطاء الماليّ إذا كان معه أذى؛ لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**اتّقوا النّار ولو بشقّ تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيّبة**»[1]، إذاً المعروف ضدّه المنكر، والمعروف هو الشّيء الّذي ألفه النّاس وتعارفوا عليه، وهو الخير، والمنكر هو ما أنكرته النّفس البشريّة

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب طيب الكلام، الحديث رقم (٥٦٧٧).

وهو الشّرّ، فالكلمة قد تكون سلاماً تداوي به الإنسان أكثر من أن تؤذيه بمالك، وذلك بأن تعطيه وتمنّ عليه.

﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: ما علاقة المغفرة هنا؟ أشاع الإسلام القيم، أنت عندما تفعل الخير حتّى بالكلمة الطّيّبة أو بعفوك عن إنسان، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النّور: من الآية ٢٢]، هذا هو المعنى.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾: فالله ﷻ غنيّ، طلب منك أن تنفق على خلقه وهو الّذي خلقك وخلقه وهو الّذي استدعاك واستدعاه فإذاً هو غنيّ عنك وعنه وطالما هو غنيّ عنك وعنه فإذاً أنت تتعامل مع غنيّ، قال عليه الصّلاة والسّلام: «**أنفق بلال ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً**»(١).

﴿حَلِيمٌ﴾: يعني أنّ الله ﷻ يمهل لكنّه لا يهمل.

(الآية ٢٦٤) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾:

إذاً إبطال مفعول الصّدقة يتمّ من خلال المنّ والأذى؛ لأنّ الإسلام هو إشاعة خير حتّى ولو بالكلمة الطّيّبة، فإذاً لا يجوز أن يكون هذا المال الّذي أنفقته سبباً لإيذاء الآخرين.

﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ﴾: هذا مثل

---

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب العين، عبد الله بن مسعود الهذليّ، الحديث رقم (١٠٣٠٠).

ضربه الله ﷻ، مثل للإنسان الّذي يمنّ أو يؤذي حين ينفق، وأنت تعرف عند إنفاقك هل تنفق مراءاة للنّاس أم إنّك تؤمن بالله وتؤمن باليوم الآخر، وذكر هنا اليوم الآخر؛ لأنّ الأمر لا يتعلّق فقط في الدّنيا وإنّما يتعلّق بالحساب في الآخرة، أنت توزّع من مالك صدقات حتّى يُشاع في المجتمع، إذاً اذهب وخذ أجرك ممّن أنفقت لهم، أنت أبطلت مفعول الصّدقة وهو أن تأخذ الأجر من الله، ولا خوف عليك ولا على أولادك، ولا تحزن في الآخرة، ولا تخاف في الدّنيا على ذريّتك، أبطلت كلّ هذه المفاعيل ممّن عملت له والله ﷻ أغنى الشّركاء عن الشّرك، عن شدّاد بن أوس ﷺ قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ رأيت بوجهه أمراً ساءني فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ما الّذي أرى بوجهك؟ قال: «**أمر أتخوّفه على أمّتي من بعدي**»، قلت: وما هو؟ قال: «**الشّرك وشهوة خفيّة**»، قال: قلت: يا رسول الله، أتشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**يا شدّاد، أما أنّهم لا يعبدون شمساً و لا قمراً و لا وثناً و لا حجراً ولكن يراؤون النّاس بأعمالهم**»[1]، وهذا هو الشّرك الخفيّ، وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنيّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنّ الّذي ينفق رياء النّاس لا يؤمن بالله، حتّى لو تعاملت مع الله لكن قد تضعف نفسك فتمنّ أو تتحدّث بما أعطيت؛ لذلك صدقة السّرّ هنا تكون أفضل إذا خفت من الرّياء.

---

(١) المستدرك على الصّحيحين للحاكم: ج٤، ص/٣٦٦، الحديث رقم (٧٩٤٠).

ودائماً نقول: قوس عناصر الإيمان أوّلاً الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، فالإيمان باليوم الآخر مهمّ جدّاً.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾: الصّفوان: الحجر الكبير الأملس.

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: الوابل: المطر الشّديد.

﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: أي أجرد نقيّاً من التّراب؛ لأنّ المطر الشّديد الّذي يأتي عليه يمسحه مسحاً فيبقى أملس، فكأنّ هذا المتصدِّقَ لم يفعل شيئاً، كما قال ﷻ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان]، هذا هو المثل، يعني أنت أنفقت وخسرت بالاتّجاهين، خسرت المال، وخسرت من أنفقت عليه وأبطلت مفعول الصّدقة.

﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: هذا الكسب الّذي كسبوه والّذي فعلوه والّذي وضعوه بغير موضعه فإنّه لا يعطي ثمره.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لماذا لا يهديهم؟ لأنّهم هم الّذين كفروا وجحدوا بآيات الله ﷻ.

(الآية ٢٦٥) – ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾:

الآيات تتحدّث عن الإنفاق في سبيل الله ﷻ ومعالجة الشّحّ في النّفس البشريّة، وهذه المعالجة التي أرادها الله ﷻ؛ لأنّه هو خلق الخلق وجعل تعاليم الإسلام رحمة للعالمين، ولم يحدّد بأنّ هذه الرّحمة تنال من آمن

به فقط، وإنّما رحمته وسعت كلّ شيء؛ لذلك فإنّ الله ﷻ وضع بحساب دقيق الخلق وضمن لمن احتاج أن يأخذ ممّن أنعم الله عليه، وذلك من خلال حثّ النّاس على الزّكاة وعلى الصّدقات وعلى الإنفاق وعلى فعل الخيرات، قد يسأل الإنسان سؤالاً: لماذا لم يخلق الله كلّ النّاس أغنياء ولا يحتاج أحد لأحد؟ فلا نحتاج أن نحثّ الأغنياء ليعطوا الفقراء وليتصدّقوا، وبعد ذلك ننبّه عليهم بأنّهم لا يجوز لهم أن يمنّوا وأن يؤذوا؟ الجواب: لأنّنا لا نعلم حكمة الحكيم؛ لذلك الله ﷻ يقول: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة].

﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول: «**يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك**»[1]، الصّدقة تثبّت إيمانك، أنا أريد أن أثبّت إيماني فماذا أفعل؟ أُداوي خلق الله، أُنفق على خلق الله، إذاً هذا هو التّثبيت، فعندما أُنفِق أشعر أنّ رزق الإيجاب ورزق السّلب قد تحقّق لي، هذا معنى تثبيت النّفس.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾: هنا المثل مثل علميّ دقيق لا يمكن أن يكون إلّا من ربّ البشر، المثل معناه أنّ الّذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله ويتعامل مع القويّ ولا يتعامل مع الضّعيف، يتعامل مع الخالق ولا يتعامل مع المخلوق، فإنّه هنا عندما ينفق ماله في هذا

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب القدر، باب ما جاء أنّ القلوب بين أصبعي الرّحمن، الحديث رقم (٢١٤٠).

السّبيل كمثل جنّة. والجنّة هي البستان، بربوة أي مكان مرتفع، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ أي مطر شديد، ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ لماذا آتت أكلها ضعفين؟ لأنّه طالما هي بربوة فالماء يأتي أوّلاً إلى الأوراق، والأوراق تمتصّ الماء فلا تتعفّن الجذور، إذا كانت الأرض ملساء إذا كانت الأرض بربوة فإذاً يوجد تخزين للماء، هذه عمليّة زراعيّة.

﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: أي إن لم يكن مطراً شديداً فرذاذ المطر الخفيف. فهذا الّذي ينفق ويُكثر عندما ينفق يضاعف لنفسه ويحمي أسرته ويحمي مستقبل أولاده من خلال الإنفاق؛ لذلك قال ﷺ: «**ما تلف مال في بحر ولا برّ إلّا بمنع الزكاة، فحرّزوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصّدقه، وادفعوا عنكم طوارق البلاء بالدّعاء، فإنّ الدّعاء ينفع ممّا نزل وممّا لم ينزل، ما نزل يكشفه، وما لم ينزل يحبسه**»[1]، كيف تحصّن مالك بالزّكاة؟ لأنّك تتعامل مع الله وهو وعدك أن يُضاعف مال الصّدقة سبع مئة ضعف، فإذاً أنت حصّنت المال، فإذا نقص ليرة أعادها الله عليك سبع مئة ضعف، ومداواة المريض تكون من خلال الصّدقة، فالإنسان الّذي ينفق يأتيه رزق، وهناك نوعان من الرّزق: رزق الإيجاب ورزق السّلب، رزق الإيجاب يكون عندما يأتيك مال، أمّا رزق السّلب فهو أنّ الله ﷻ يدفع عنك البلاء، فمثلاً رجلٌ يؤلمه رأسه، يأخذ حبّة مسكّن فيسكن الألم، ورجلٌ آخر آلمه رأسه فعمل تصويراً طبقيّاً محوريّاً ورنيناً مغناطيسيّاً... إلخ هنا دفع

(١) مسند الشّاميّين: إبراهيم بن أبي عبلة، الحديث رقم (١٨).

الله ﷻ عنك وسدّ عليك المصارف، هذا الرّزق اسمه رزق السّلب، وهذا أمر لا ينتبه له الإنسان، فأنت إذا دفعت صدقة للفقير فإنّك تدفع عنك مصارف البلاء.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: بصير بكلّ شيء.

(الآية ٢٦٦) - ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦﴾:

نلاحظ دقّة الأداء القرآنيّ وتركيز القرآن الكريم على موضوع الإنفاق، فهو موضوع اجتماعيّ، يؤدّي إلى تواصل اجتماعيّ قويّ جدّاً، وهنا ضرب مثلاً آخر: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: أحدهم غنيّ له جنّة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار، في القرآن الكريم تأتي الجنّة إمّا تجري من تحتها الأنهار، أو تجري تحتها الأنهار، أي تنبع الأنهار من تحتها.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ﴾: وأصبح كبيراً بالسّنّ.

﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ﴾: له ذريّة يخاف عليهم.

﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾؛ لأنّ الإعصار يكون فيه شوارد الإيجابيّ والسّلبيّ، يكون فيه لمعان وممكن أن يكون فيه نار، فاحترقت وذهبت كلّ هذه الجنّة التي يملكها؛ لأنّه كفر بنعم الله ولم يؤدّ حقّ الله ﷻ؛

ولأنّه لم يؤتِ الزّكاة ولم يتصدّق على خلق الله فكانت هذه النّتيجة.

لماذا جاء هذا المثل؟ جاء المثل؛ لأنّه خبّأ المال لأولاده الضّعفاء، أنا أعمل من أجل أولادي أريد أن أعمل بيت لابني وبيت لابنتي وهذا يريد كذا وهذا يريد كذا.. فالقضيّة لا تتعلّق فقط بالنّفس، إنّما تتعلّق بمتابعة الأمر مع الأولاد، قال ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النّساء]، فإذا كنت تخاف على أولادك فعليك أن تفعل كما قال ﷻ: ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾، فعندما لم يؤدّ ما عليه، كانت النّتيجة أنّ جنّته وما فيها من نخيل وأعناب وأنهار تجري من تحتها أصابها إعصار سريع بلحظة واحدة فاحترقت وذهب كلّ شيء.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾: في الآيات التي سبقت أخرج الله الرّياء من دائرة الإنفاق، وهنا يبيّن للذي يريد أن يأمّن على أولاده ماذا يفعل، ذُكر ذلك في سورة (الكهف) في قوله ﷻ: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: من الآية ٨٢]، إذاً صلاح الآباء هو ميراث الأبناء.

(الآية ٢٦٧) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٢٦٧﴾:

وهنا شرط آخر لصحّة الإنفاق: ﴿أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾: فلا تسرق وتنفق، كما قال الشّاعر:

كساعيةٍ للخير من كَسب فرجها لها الوَيلُ لا تزني ولا تتصدق[1]

إذاً الإنفاق حتّى يقبله الله يجب أن يكون في طريق شرعه الله.

سبب النّزول:

عن سهل بن حنيف قال: كان النّاس يتيمّمون -أي يقصدون- شرّ ثمارهم يخرجونها من الصّدقة، فنزلت: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾.

والعبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب، عندما تريد أن تنفق أنفق ممّا تحبّ، قال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٢]، ممّا تحبّون، وليس الرّديء أو الفاسد، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾.

(الآية ٢٦٨) - ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾:

الشّيطان يعدكم الفقر؛ لأنّ الشّيطان يقول لك: لا تنفق، اجمع المال، خذ ربا، اكسب من هنا واكسب من هناك.

﴿يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾؛ لأنّ نتيجة هذا الأمر هو الفقر؛ لأنّك خال الوفاض، وبيّن ذلك في قصّة الجنّة بأنّه أصابها إعصارٌ فيه نارٌ فاحترقت، فإذاً الشّيطان يعدك الفقر، فقراً في الدّنيا وفقراً في الآخرة.

---

(١) معجم البلدان: باب الهمزة والرّاء وما يليهما، ج١، ص٨٧.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾: الله ﷻ لم يقل: يعدكم الرّزق؛ لأنّ رزق الله هو فضل منه ﷻ وليس عدلاً لك، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ﴾ لماذا مغفرة؟ طريقة التّعامل مع النّاس حتّى يغفر الله لك أن تساعد أخاك، إذاً هذه قضيّة اجتماعيّة هامّة، معالجة اجتماعيّة من أرقى الطّرق القيميّة الأخلاقيّة التي تزرع في النّفوس التّكافل الاجتماعيّ وتماسك المجتمع والوطن.

﴿وَفَضۡلٗا﴾: فضل الله ﷻ لا يعدله جمعك لكنوز الأرض، ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس].

(الآية ٢٦٩) - ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾:

لماذا خلق الله ﷻ هذا الإنسان محتاجاً وهذا غير محتاج؟ هي سنّة الله في الاختلاف في الكون والابتلاء، لكن أيضاً هناك حكمة لا نراها، هذه الحكمة أن لو كان كلّ النّاس أغنياء، والإنسان ابن أغيار، فإنّ الإنسان الّذي يعطي اليوم عندما يعطي قد يصبح مُعطى له في الغد، فإذاً الله ﷻ يطلب منك ويطلب لك بنفس الوقت، حتّى تستشعر دائماً بأنّك في عالم أغيار، وإلّا لو كلّ النّاس في حالة الغنى والأموال لطغى النّاس وتجبّروا ولما شعر أحد أنّه بحاجة لأحد، إذاً هو يطلب منك ليعطيك، هل تضمن أنّ الغنيّ سيبقى غنيّاً؟ هل تضمن أنّ القويّ سيبقى قويّاً؟ ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٠]، فإذاً هناك حكم لا نعرفها، الله ﷻ جعلها مكتنزة في خلقه، فالله ﷻ استدعاك واستدعا الفقير للوجود، طالما

أنّه استدعى النّاس إذاً هو تكفّل بكلّ خلقه، قال لهذا: سأعطيك، وقال للآخر: أعط هذا؛ لذلك جاء الحضّ على الإنفاق والتّنبيه على أنّك تتعامل مع الله، روى البيهقيّ: قال عبد الملك بن قريب الأصمعيّ: أقبلت ذات يوم من مسجد الجامع بالبصرة، وبينما أنا في بعض سككها، إذ أقبل أعرابيّ جلف جافّ على قعودٍ[1] له متقلّداً سيفه وبيده قوس، فدنا وسلّم وقال: ممّن الرّجل؟ فقلت: من بني الأصمع، فقال لي: أنت الأصمعيّ؟ قلت: نعم، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضعٍ يتلى كلام الرّحمن فيه، قال: أو للرّحمن كلام يتلوه الآدميّون؟ فقلت: نعم يا أعرابيّ، فقال: اتل عليّ شيئاً منه، فقلت: انزل من قعودك، فنزل وابتدأت بسورة (الذّاريات) حتّى انتهيت إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذّاريات]، قال الأعرابيّ: يا أصمعيّ، هذا كلام الرّحمن؟ قلت: إي، والّذي بعث محمّداً بالحقّ إنّه لكلامه، أنزله على نبيّه محمّد، فقال لي: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها بسيفه وقطّعها بجلدها وقال: أعنّي على تفرقتها، فوزّعناها على من أقبل وأدبر، ثمّ كسر سيفه وقوسه وجعلها تحت الرّملة وولّى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ يردّدها، فلمّا تغيّب عنّي في حيطان البصرة أقبلتُ على نفسي ألومها وقلت: يا أصمعيّ! قرأتَ القرآن منذ ثلاثين سنة، ومررت بهذه وأمثالها وأشباهها فلم تتنبّه لما تنبّه له هذا الأعرابيّ، ولم يعلم أنّ للرّحمن كلاماً، فلمّا قضى الله من أمري ما أحبّ،

(١) قعود: جمل في مقتبل عمره.

حججت مع هارون الرّشيد أمير المؤمنين، فبينا أنا أطوف بالكعبة إذا أنا بهاتف يهتف بصوت رقيق: تعال يا أصمعيّ! تعال يا أصمعيّ، قال: فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابيّ منهوكاً مصفاراً، فجاء وسلّم عليّ وأخذ بيدي وأجلسني وراء المقام فقال: اتل من كلام الرّحمن ذلك الّذي تتلوه، فابتدأت ثانياً بسورة (الذّاريات) فلمّا انتهيت إلى قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ صاح الأعرابيّ وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً، قد وجدنا ما وعدنا ربّنا حقّاً، ثمّ قال: يا أصمعيّ، هل غير هذا للرّحمن كلام؟ قلت: نعم يا أعرابيّ، يقول الله ﷻ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذّاريات]، فصاح الأعرابيّ عندها وقال: يا سبحان الله! من ذا أغضب الجليل حتّى حلف؟ فلم يصدِّقوه بقوله حتّى ألجأوه إلى اليمين، قالها ثلاثاً وخرجت نفسه(١).

فحتّى الأعرابيّ البسيط فهم بأنّ الله غضب من هذا الإنسان الغنيّ الّذي لا ينفق على الفقير؛ لأنّه: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾.

(الآية ٢٧٠) – ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ٢٧٠﴾:

الآيات السّابقة التي فسّرناها كانت تتعلّق بمعالجة قضيّة هامّة وهي قضيّة شحّ النّفس وقضيّة الإنفاق في سبيل الله، بيّنت الآيات السّابقة كلّ المناحي المتعلّقة بالإنفاق في سبيل الله والرّياء في هذا العمل وكلّ منافذ

(١) شعب الإيمان: الثّالث عشر من شعب الإيمان وهو باب التّوكّل، الحديث رقم (١٣٣٧).

الشّيطان التي يمكن أن تدخل على الإنسان أثناء تأديته لهذه الفريضة إن كانت زكاة أو للصّدقات والتي هي سنّة عن النّبيّ ﷺ، إذاً بعد الآيات السّابقة يتابع المولى ﷻ البيان عن النّفقة:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾: طبعاً النّفقة تحدّثنا عنها مطوّلاً، الآن ترد معنا أوّل مرّة كلمة نذر، ما هو تعريف النّذر؟ هو أن يقوم الإنسان بعمل من جنس ما كلّفه الله ﷻ فوق مقدار التّكليف، مثال: فرض عليّ صلاة خمس أوقات وأصلّي السّنن لكنّي نذرت أن أصلّي أربعين ركعة لله، إذاً هذا من جنس ما أمر الله، التي هي الصّلاة، لكن فوق ما أمر الله ﷻ، أو إنسان نذر أن يذبح شاة أو خروفاً ..إلخ، هناك الأضحية التي سنّت في الإسلام، فأنت ضحّيت بثلاثة، هو أمر أن تضحّي بعيد الأضحى، وأنت كلّ فترة تضحّي، فالنّذر يكون من جنس ما أمر الله به، ولا يصحّ أن تنذر نذراً يخالف شرع الله.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾: يكفي تذييل هذه الآية بأنّ الله ﷻ يعلم صدق نيّة الإنسان، وأنتم تعرفون جميعاً بأنّ نصف الدّين في حديث واحد في صحيح البخاريّ عن سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى»**[1]، فإذاً العمل يتعلّق بصفاء النّيّة؛ لذلك عندما تنفق وعندما تنذر فالله يعلمه، طالما دخل هذا

(١) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (١).

العمل في صدق النّيّة فالله ﷻ يجازي الإنسان على حسب نيّته، أمّا إذا دخل فيها الرّياء أو أيّ مصلحة دنيويّة فإنّ الله أغنى الشّركاء عن الشّرك، فلا تأخذ الأجر، فالأجر إنّما يكون ممّن عملت له.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾: ما علاقة الظّالمين بالقضيّة؟ الظّلم أنواع وأشدّ أنواع الظّلم أن يقع ظلم من الإنسان على نفسه قبل أن يقع من غيره عليه، فالظّلم نوعان:

النّوع الأوّل: أنت تظلم نفسك، يظلم الإنسان نفسه عندما يقدّم شهوة عاجلة على نعيم دائم، ويقدّم رغبة الدّنيا على رحمة الآخرة، ويقدّم ما عند البشر على ما عند ربّ البشر، فإذاً هو هنا ظلم نفسه

النّوع الثّاني: ظلم الآخرين.

فقوله ﷻ: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ أي لن يجد في الدّنيا ولا في الآخرة من ينصره إذا كان عمل لوجه الإنسان وليس لوجه ربّ الإنسان.

(الآية ٢٧١) - ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾:

يتابع المولى ﷻ الحديث عن النّفقة في سبيل الله، وعن عمل الخير، وهذا جزء أساسيّ من الدّين، «**والصّدقة برهان**»[1]، برهانٌ على صحّة الإيمان، فالمال هو مال الله أعطاه إيّاك، لكن عندما تنفق من مال الله على

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

خلق الله فإنّ هذا العمل يثبت صحّة إيمانك، وتعلّقك بأوامر الله ﷻ.

﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾: بالنّسبة للصّدقات هناك طريقتان للإنفاق:

١- إمّا أن تبدِي هذه الصّدقة.

٢- وإمّا أن تخفيها.

فإن أبديتها فنِعْمَ هذا العمل، ونِعْمَ ما قُمت به من إبداء الصّدقة، لماذا؟ لأنّه عندما يقوم الغنيّ بإبداء الصّدقة مع صفاء النيّة لله، وخصوصاً فيما يتعلّق بالزّكاة؛ لأنّها فرض، فإنّه يحمي المجتمع ويحمي نفسه ويكون مثالاً يُحتذى للامتثال لأوامر الله ﷻ، ويقول العلماء: إنّ الإنسان الغنيّ عندما يتصدّق عليه أن يُبرز ويُبدي الصّدقة، أمّا الإنسان المتوسّط فالأفضل أن يخفي الصّدقة؛ لأنّ الإنسان الغنيّ سيقع النّاس بسيرته وبسلوكه ويقولون: عنده الأموال والأطيان والقصور..، وهو لا يُنفق منها شيئاً، إذاً هي عمليّة تتعلّق بتكافل اجتماعيّ، وبشعور إنسانيّ، عندما تبدي الصّدقة، فإنّ إبداءها يُحقّق هذا الأمر، ويمنع الفقراء من أن يتسلّل الحقد أو الحسد إلى قلوبهم، فهنا إبداء الصّدقة أفضل، لكنّ الله ﷻ قال بعدها:

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: القرآن الكريم عندما يتحدّث عن الصّدقات وعن الزّكاة يسمّيها صدقة، ما السّبب؟ لأنّها تصديق للإيمان، ﴿۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٦٠﴾ [التّوبة]، هذه الآية تتعلّق بالزّكاة ولا تتعلّق بالصّدقة، الزّكاة فرض والصّدقة سنّة عن النّبيّ ﷺ، فإذاً: إن تبدوا الصّدقات بالنّسبة للزّكاة فنِعمَ ما تقومون به وإن تخفوها (للصّدقات) وتؤتوها للفقراء فهو خير لكم، من ناحية عدم تسلّل الرّياء إلى قلب الغنيّ المتصدّق؛ لذلك قال النّبيّ عن أحد السّبعة الّذين يُظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: «**ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»(١).

﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾: تبيّن لنا أنّ فيما يتعلّق في الصّدقات يمكن الإعلان عنها وخصوصاً إذا كانت زكاة؛ لأنّك تعظّم شعائر الله ﷻ فيما يتعلّق بالزّكاة.

﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: إذاً من الأفضل الإخفاء هنا بالنسبة للصّدقة. والله ﷻ أمر الإنسان أن يعمل على قدر طاقته وليس على قدر حاجته، وإلّا لما كان هناك زكاة، فأنت تعمل لك ولغيرك، تعمل أكثر من حاجتك حتّى تستوعب حاجة الفقراء والمساكين؛ لذلك قال الله ﷻ عن الزّكاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ [المؤمنون]، قال: ﴿فَٰعِلُونَ﴾ ولم يقل: (مؤدّون) كيف يكون فاعلاً للزّكاة وليس مؤدّياً؟ لأنّك أنت عملت على قدر طاقتك وليس على قدر حاجتك، فهي في ضمن مفهوم الزّكاة تستوعب مفهوم العمل؛ لأنّ الزّكاة هي أنّك تخرج جزءاً من مالك إلى الفقراء وإلى المحتاجين،

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الزّكاة، باب الصّدقة باليمين، الحديث رقم (١٣٥٧).

وهذا المال لا بدّ أن يأتي من عمل؛ لذلك ضَمّن الزّكاة في كلمة ﴿فَعِلُونَ﴾ وليس (مؤدّون) هناك فارق بين أن تؤدّي الزّكاة وبين أن تفعل، فأنت تعمل على قدر طاقتك لتستوعب حاجة الفقراء والمساكين.

﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: الذّنوب تحتاج إلى غفران والسّيّئات إلى تكفير، ما السّبب؟ يكفّر عن السّيّئة السّبب في ذلك أنّك عندما ترتكب السّيّئة فأنت لا تسيء إلى الله، فلا أحد يستطيع أن يسيء إلى الله ﷻ؛ لذلك بالنّسبة للسّيّئة لا تحتاج إلى غفران بل إلى تكفير؛ لذلك سمّيت سيّئة، أمّا مع المغفرة فقد ذكر الذّنب: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: من الآية ٣١]، والذّنب يختلف عن السّيّئة، الذّنب تقصير في حقّ الله أنت من خلاله لم تؤذِ الله وإنّما قصّرت بحقّه، مثلاً قصّرت بالصّلاة، أمّا إن اغتبت أو كذبت فهذه سيّئة، إذاً الذّنب فيما يتعلّق مع الله ﷻ، والسّيّئة فيما يتعلّق مع خلق الله. وعندما تخفي الصّدقة وتقوم بما أمر الله ﷻ فإنّه يكفّر عنك هذه السّيّئات التي قد تكون ارتكبتها في يومك.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: لم يقل: (عليم)؛ لأنّ العلم حين يكثر يصبح خبرة، فهو خبير بدقائق النّفس وخلجات الإنسان بأنّه عندما أنفق فإنّما أنفق في سبيل الله وتكفيراً عن سيّئاته.

(الآية ٢٧٢) - ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾:

سبب النّزول:

اعتمر رسول الله ﷺ عمرة القضاء، وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر، فجاءتها أمّها قتيلة وجدّتها يسألانها، وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكما شيئاً حتّى أستأمر رسول الله ﷺ فإنّكما لستما على ديني فاستأمرته في ذلك، فأنزل الله ﷻ هذه الآية. فأمرها رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية، أن تصَّدّق عليهما، فأعطتهما ووصلتهما. قال الكلبيّ: ولها وجه آخر، وذلك أنّ ناساً من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار ورضاع في اليهود، وكانوا ينفعونهم قبل أن يسلموا، فلمّا أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوهم على أن يسلموا، فاستأمروا رسول الله فنزلت هذه الآية، فأعطوهم بعد نزولها. إذاً الإنفاق لا يتعلّق بأنّك تنفق على المسلم فقط، الله ﷻ استدعى كلّ الخلق إلى الوجود، فأنت تستطيع أن تعطي المسلم وغير المسلم من الصّدقات إن كان محتاجاً، بدليل أنّ هذه الآية جاءت ضمن آيات الإنفاق في سبيل الله ﷻ.

﴿* لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: الله ﷻ بيّن نوع الهداية، عندما قال للنّبيّ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: من الآية ٥٦]، وقال له في آية أخرى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: من الآية ٥٢]، وهذه الهداية هي الدّلالة على الخير وعلى شرع الله، وهذه تسمّى هداية دلالة، أمّا أنت فلا تستطيع أن تدخل الإيمان والهداية إلى القلوب والنّفوس وهذه هداية معونة من الله ﷻ؛ لذلك

فإنّنا لا نسوق النّاس بالسّياط إلى شرع الله؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿*لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وقال جلّ وعلا: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: أطلق الله ﷻ على كلّ عمليّة الإنفاق التي هي بذل الخير للغير، هذا المال أو هذا الجاه أو هذا العمل الّذي تقوم به في سبيل الآخرين وفي سبيل خلق الله، أعطاه معنى الخيريّة؛ لذلك لا يمكن لهذا الدّين إلّا أن يكون دين رحمة، فنحن نبدأ كلّ أمر ببسم الله الرّحمن الرّحيم، وقال ﷻ للنّبيّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، ولم يقل: للمسلمين، وإنّما قال: رحمة للعالمين؛ لذلك ما تنفقوا من خير لكلّ البشر بغضّ النّظر عن أنواعهم وانتماءاتهم وأديانهم وعقائدهم، وإنّما هم من خلق الله فعليك أن تقوم بفعل الخير للغير بغضّ النّظر عن انتماء هذا الّذي تحسن له.

﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾: إذاً كلّ إنسان يقوم بعمل خير يعود عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمّل: من الآية ٢٠]، ليس فقط خيراً، فأنت عندما تقدّم فأنت تقدّم لنفسك لا تقدّم للفقير، وأنت عندما جعلت في ذهنك ربّ الضّعيف ولم تجعل في ذهنك الضّعيف فأنت تقدّم لنفسك؛ لذلك كان أحد العلماء الصّالحين يبكي عندما يأتيه سائل أو فقير وبعد أن يعطيه يبكي وإذا سُئل عن سبب بكائه يقول: لأنّني تركت من جاء إليّ بالخير يقف على بابي، فإذاً الّذي يأتي لك بالخير هو هذا الفقير؛ لذلك نحن نلاحظ ملاحظة مهمّة أنّ الإنفاق في سبيل الله

تحت عنوان الزّكاة هو ركن في دين الغنيّ وليس ركناً في دين الفقير؛ لأنّه يسقط عن الفقير، إذاً الإنفاق بالنّسبة لك أي ركن الزّكاة هو ركن من أركان الإسلام الخمسة، إذاً لا يصحّ الإسلام من دون الزّكاة، فإذاً الغنيّ هو بحاجة للفقير، من أحوج من الآخر؟ الفقير إلى مال الغنيّ، أم الغنيّ إلى دين الفقير؟ الجواب: الغنيّ؛ لأنّ الغنيّ بالنّسبة له الأمر مرتبط بالدّين، مرتبط بأركان الإسلام، فهو بحاجة أن يكمّل أركان الإسلام بأن يعطي الفقير، أمّا الفقير يأخذ فقط المال ولا يأخذ حصّة من الدّين.

﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾: لأنّك تأخذ الأجر ممّن عملت له، فإذاً الإنفاق يجب أن يكون في سبيل الله، أمّا إن كان في سبيل النّاس فإنّه يذهب مع النّاس.

﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾: يوفّ إليكم: يعني أداءً كاملاً.

﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: لا تظلمون في الدّنيا بإنفاقكم من خلال حقد الفقراء عليكم، ولا تظلمون في الآخرة؛ لأنّكم قمتم بما أمركم الله ﷻ به وحصّنتم أموالكم بالزّكاة.

(الآية ٢٧٣) - ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾:

﴿أُحْصِرُوا﴾: مُنعوا.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: هذا مثال على مصرف من مصارف الزّكاة، الفقراء الّذين أُحصروا، ونزلت في المهاجرين الّذين انقطعوا إلى الله وإلى رسوله، وسكنوا المدينة المنوّرة، وليس لهم سبب يردّون به على أنفسهم ما يغنيهم، وقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: سفراً للتّسبّب في طلب المعاش، والضّرب في الأرض: هو السّفر.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾: هذا دليلٌ على أنّهم لا يطلبون ولا يسألون، فالجاهل بحالهم يحسبهم أغنياء من تعفّفهم في لباسهم وحالهم ومقالهم، لكن كيف تعرفهم؟ تعرفهم بسيماهم، ماهي السّيمة؟ هي العلامة المميّزة، تعرفهم بخشوعهم وانكسارهم وليس بألسنتهم وسؤالهم وطلبهم.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾: لا يسألون ويلحّون في السّؤال ويقفون على أبواب النّاس، هذا مصرف، ما الّذي يجب علينا أن نفهمه؟ يجب أن لا نترك المحتاج حتّى يسأل، كأنّ الآية تقول لنا: إنّ هناك كثيراً ممّن نحسبهم أغنياء من التّعفّف علينا أن نبحث عنهم وننظر بسيماهم ونتطلّع إلى أحوالهم؛ لذلك شُرعت صلاة الجماعة وصلاة الجمعة حتّى يكون الاجتماع بين النّاس، وحتّى يسأل النّاس بعضهم بعضاً، وحتّى يرى النّاس حاجات الآخرين ويشعر بحاجة الضّعيف والمريض والمحتاج والمسكين وإن لم يطلب، ليس كلّ النّاس يقفون على الأبواب ويمدّون أيديهم ويطلبون.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾: كن مطمئنّاً بأنّ من عملت

لأجله يعلم، فإذاً على قدر ما تعمل لأجله وعلى قدر ما تبحث عن حاجات الضّعفاء والمساكين على قدر ما يكون لك الأجر، فكن مطمئنّاً بأنّه عليم.

(الآية ٢٧٤) - ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾:

إذاً الإنفاق إمّا أن يتعلّق باللّيل والنّهار أي بالزّمن أو بالكيفيّة، أي: السّرّ والعلانيّة، فلا تؤخّر صدقة تستطيع أن تفعلها في اللّيل إلى النّهار، ولا تؤخّر صدقة تستطيع أن تفعلها في النّهار إلى اللّيل، ولا تنفق فقط في العلانية، بل أنفق في السّرّ وفي العلن.

سبب النّزول:

كان لعليّ رضي الله عنه أربعة دراهم، فأنفق درهماً ليلاً ودرهماً نهاراً، ودرهماً سرّاً، ودرهماً علانية، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾.

﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: يأخذون أجرهم من الله، ولا خوف عليهم من مستقبل ينتظرهم؛ لأنّ المستقبل بيد الله سبحانه وتعالى وأنت تعمل لله، فإذاً لا خوف عليك، ولن تحزن في الآخرة، ولن تحزن نتيجة شعورك أنّ مالك نقص، فالحزن لن يدخل إلى قلبك لا في الدّنيا ولا في الآخرة ما دمت تتعامل في الصّدقة مع الله ولا تتعامل مع الفقراء.

(الآية ٢٧٥) - ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾:

القضيّة في الآيات التي مرّت معنا هي قضيّة اقتصاديّة، وعماد الاقتصاد الإسلاميّ قائمٌ على تحقيق الاقتصاد السّليم في المجتمع من خلال الزّكاة والصّدقات وكيفيّة أداء فعل الزّكاة التي هي فعل عمل اقتصاديّ. ولا بدّ من بيان أنّ طريقة التّعامل بين الغنيّ والفقير يعتريها قضيّة خطيرة اقتصاديّة يقوم عليها الاقتصاد الرّأسماليّ الآن أو اقتصاد معظم الدّول، وهي الرّبا.

وتعريف الرّبا: هو الزّائد، وهو أن تستغلّ حاجة المحتاج وتضاعف مالك من خلال استغلال احتياجه، إذاً هو أسوأ صورة من صور العمل الاقتصاديّ؛ لذلك قال بعض العلماء الاقتصاديّين: لا يكون الاقتصاد سليماً إلّا إذا كانت الفائدة صفراً، يعني لا يوجد ربا، إذاً الرّبا هو استغلال حاجة المحتاج، ماذا يحدث؟ لماذا هذه العلاقة علاقة بشعة؟ الّذي يحدث أنّ هذا غنيّ وهذا محتاج فقير، الغنيّ يضمن أن يعيد ماله وزيادة من المال الّذي أقرضه للفقير، التي هي الرّبا، أو ما تُسمّى في أيّامنا: الفائدة، فإذاً هو استغلّ الحاجة وإضافة لاستغلاله للحاجة كسب على قدر حاجة المحتاج، وتأتي الآيات هنا لتبيّن خطورة الرّبا في المجتمع الّذي هو أساس الفساد

الاقتصاديّ، فعلّة وآفة المال الرّبا، فإذا ظهر الزّنا والرّبا في قوم فقد أحلّوا بأنفسهم سخط وعذاب الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: هل الرّبا يؤكل؟ الأكل يستخدم للطّعام بالإضافة إلى أنّك عندما تأكل تأكل نتيجة المال.

﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾: كلمة تخبّط تعني السّير بغير هدى.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: هو أمر غيبيّ، والخبر الإلهيّ حدّثنا عن هذا الغيب بأنّ هناك شياطين وهم العصاة من الجنّ، والجنّ مخلوقات لا نراها، ولكن هذه المخلوقات يمكن أن تمسّ الإنسان في الحياة، فإذا مسّ شيطان إنساناً أخذ هذا الإنسان من صفات الشّيطان بالمسّ. إذاً الصّورة هي أنّ الّذي يأكل الرّبا يسير على غير هدى ويسير متخبّطاً من مسّ الشّيطان، وهذا تشنيع إلهيّ عظيم وكبير جدّاً لأكلة الرّبا، قال بعض العلماء: إنّ الّذي يأكل الرّبا يقوم كالّذي يتخبّطه الشّيطان من المسّ في الآخرة، لا في الدّنيا، ولو أنّنا بحثنا في المجتمع عن المرابين وراقبناهم لوجدنا مصداق قوله ﷻ: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾، مسّهم الشّيطان فحرف هداهم وحرف مسيرتهم في هذه الحياة، استغلّوا حاجة المحتاجين وفقر الفقراء والمساكين بالفائدة أو بالرّبا لتحقيق غنى على حاجتهم.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾: من صور التّخبّط الّذي يكون من مسّ الشّيطان بأنّهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ الآية حسب فهمنا الصّغير يجب أن تكون: (إنّما الرّبا مثل البيع)، لكن هؤلاء متخبّطون، فصورة

من صور تخبّطهم أنّهم يقولون: نحن المرابين نجد أنّها عمليّة عقد بين اثنين، لكن من الّذي قال: إنّ أيّ عقد بالتّراضي هو صحيح وسليم؟ إذا امرأة ورجل زنيا وكانا متّفقين هل يُصبح ذلك حلالاً؛ لأنّه رضا بين الطّرفين؟ الفقير المحتاج صحيح هو رضي أن يدفع الرّبا وأن يقترض وأنت رضيت بأن تقرضه وأن تفرض عليه الفائدة لكن هذا الكلام ليس بيعاً، وليس عقداً صحيحاً، فكلّ من يحاول أن يحلّل الرّبا بشكل عامّ يعتبر أنّ الرّبا أحد أوجه البيع، إذاً أحد صور التخبّط هو أنّهم قالوا: إنّما البيع مثل الرّبا، كان يجب أن يقولوا: إنّما الرّبا مثل البيع، لكن هذا يعطيك صورة متخبّط بعكس الكلمات، فالمولى ﷻ تدخّل هنا وقال: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: هذا كلامٌ إلهيٌّ منزّلٌ قاطعٌ لا يحتمل اجتهاداً، ولا اجتهاد في مورد النّصّ، والنّصّ أنّ البيع حلال والرّبا حرام، فلا يأتي أحد ويقول: هذا ربا فضل، أو ربا كذا.. الجواب هو: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ بشكل كامل.

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: لأنّه لا يوجد لها أثر رجعيّ، فعندما نزل التّحريم كان المرابون كُثُراً، ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الموعظة: هي تذكير وإخبار فيه عظة من ربّ العالمين، فانتهى فله ما سلف، توقّف عن الرّبا، فله ما سلف، ﴿وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي ما مرّ وما سلف أمره إلى الله ﷻ؛ لأنّه لا يستطيع أن يرجع.

﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ لماذا؟ هذه معصيّة والمعصيّة لا يُخلّد صاحبها في النّار، لكن لماذا قال في هذه الآية: ﴿وَمَنْ عَادَ

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾؟ لأنّ الّذي يحلّل الرّبا، ردّ الحكم على الله، إذاً هذه ليست معصيّة فقط، هذه كمعصيّة إبليس -لعنه الله- آدم عليه السلام حين عصى لم يردّ الحكم على الله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ [طه: من الآية ١٢١]، ثمّ بعد ذلك استغفر آدم عليه السلام فغفر الله له وتاب عليه: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [طه]، أمّا إبليس فردّ الحكم على الله: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ [الأعراف: من الآية ١٢]، وقال: ﴿قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينًا ٦١﴾ [الإسراء: من الآية ٦١]، فردّ الأمر على الآمر، فالّذي يقول: إنّ البيع مثل الرّبا، ويحلّل الرّبا، فقد أحلّ ما حرّم الله سبحانه وتعالى، وردّ الحكم على الله؛ لذلك النّتيجة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

(الآية ٢٧٦) - ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦﴾:

فإذاً هذه إشاعة الخير في المجتمع، ما هذه المقارنة العظيمة؟

﴿يَمۡحَقُ﴾: المحق: النقصان، ومنه: المحاق، لآخر الشهر إذا انمحق الهلال، يُقال: محقه: إذا نقصه وأذهب بركته، أي يزول أثراً بعد أثر، فإذاً لا يزول مال الرّبا دفعة واحدة، ولكن انظروا إلى المرابين وانظروا إلى ميراثهم لأبنائهم هل مُحق أم لا؟ هذا قرآن يُتلى ويتعبّد به ويُصلّى به إلى يوم الدّين، فلا يمكن أن يقول المولى: إنّه يمحق الرّبا إلّا ويُمحق الرّبا، ولكن لا يزول دفعة واحدة، هذا الدّاء داء خطير في المجتمعات يدمّر اقتصاد المجتمعات.

﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾: الزّيادة تكون بالصّدقة، فإذا أردت أن يزيد

مالك ويربو فعليك أن تنفق منه على خلق الله وتُساعد المحتاجين والفقراء، فأيّ صورة راقية وأعظم وأجمل وأربى من هكذا صورة.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾: لم يقل ﷻ: (والله لا يحبّ كلّ كافر آثم)، وإنّما استخدم صيغة مبالغة للكلمتين: ﴿كَفَّارٍ﴾ صيغة مبالغة من كافر، ﴿أَثِيمٍ﴾ صيغة مبالغة من آثم، فهو مُكثر في جحوده لأمر الله وكفره؛ لأنّه أحلّ الرّبا واستغلّ حاجة المحتاجين؛ لذلك جاءت نهاية الآية المتعلّقة بالرّبا وأكلة الرّبا في المجتمع: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

(الآية ٢٧٧) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾:

لا يُقبل الإيمان وحده دون عمل صالح، فالإيمان ليس بالتّحلّي ولا بالتّمنّي، ولكنّ الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل، إذاً هات برهانك على الإيمان، وأوّل برهان على الإيمان أن تنفق ممّا أعطاك الله، قال ﷻ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٢].

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أضاف ركنين من أركان الإسلام، ركن استدامة الولاء لله، ركنٌ دائمٌ لا يسقط عنك في حالٍ من الأحوال وهو الصّلاة؛ لأنّ الزّكاة تسقط عن الفقير، والحجّ لمن استطاع إليه سبيلاً، وهذا والصّوم يسقط عن المريض، إلّا الصّلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النّساء: من الآية ١٠٣]، الصّلاة لا تسقط لا بمرض ولا بغيره، فإن لم تستطع قائماً صلّيت قاعداً، وإن لم تستطع قاعداً فمستلقياً، وإن لم

تستطع مستلقياً فبعينيك، فإن لم تستطع بعينيك أخطرت أركان الصّلاة على ذهنك، فإذاً لا تسقط الصّلاة في حال من الأحوال، والصّلاة مدخل إلى كلّ العبادات.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: غالباً ما نجد أنّ الله ﷻ يربط ركن الزّكاة بركن الصّلاة، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٥٦﴾ [النّور]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [المزمّل: من الآية ٢٠]، الصّلاة هي صلة مع الله وهي استدامة ولاء لله، والزّكاة هي برهان على صدقك مع الله تبارك وتعالى.

﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: هؤلاء الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، الّذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة، هذا العمل لله، فإذاً الأجر عند الله، خذ الأمر بمقياسه، ولا تأخذه بمقياسك، خذ الأمر بمقدار عطائه ولا تأخذه بمقدار عطائك، خذ الأمر بقوّته وقدرته وسلطانه وملكه وجبروته وعظمته، فإذاً أنت تنسب الفعل للفاعل، وإيّاك أن تنظر إلى المفعول، انظر دائماً إلى الفاعل مثال: طفل ضربك، وبطل ملاكمة ضربك، كم هو الفارق بينهما؟ لذلك ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ يكرّر المولى ﷻ أنّ الأجر عنده، وطلاقة قدرة الله ﷻ لا تحدّها حدود، فإذاً الأجر يكون على حسب المؤجر.

﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾: فلا خوفٌ عليهم في الدّنيا، فهم حصّنوا أموالهم، وداووا مرضاهم، وتركوا ميراثاً لأولادهم في الدّنيا.

﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾: ولا هم يحزنون في الآخرة، فالخوف ممّا سيقع والحزن على ما وقع، فإذاً لن تخاف ولن تحزن طالما أنت في كنف الله ﷻ، وكيف تكون في كنف الله؟ ذلك عندما تكون من الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة.

(الآية ٢٧٨) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: الخطاب هنا للمؤمنين، فالمؤمن بينه وبين الله ﷻ عقد إيمانيّ، فعليه أن يأخذ الأوامر والتّكاليف من الله ﷻ، فعند التّكاليف والأوامر الإلهيّة يأتي الخطاب للذين آمنوا، فإذا استخدم الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فاعلم أنّ بعدها وظيفة وتكليفاً إيمانيّاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النّساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النّساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة]، حتّى عمليّة ترك الرّبا خوطب بها المؤمنون؛ لأنّ الرّبا كان سائداً في المجتمع الجاهليّ.

﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: والتّقوى هي أن تتّقي من صفات الجلال لله ﷻ، من المنتقم، من العزيز، من الجبّار، ومعنى أن تتّقي الله ﷻ أي أن تأخذ بأوامر الله ﷻ وتنتهي عمّا نهى عنه.

﴿وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾: الواو واو عطف، ومعنى (تذر): أن تترك ما بقي من الرّبا؛ لأنّ بعضهم بقي لديه شيء منه.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: إن: أداة شرط، إن لم تكونوا مؤمنين فأنتم وشأنكم، وحسابكم في الآخرة، أمّا المؤمن فعليه أن يأخذ بالتّكليف بغضّ النّظر عن علّة التّكليف، سواء عرفتها أم لم تعرفها، فأنت تفعل بناء على أمر الآمر، فإن تبيّنت لك الحكمة فنعمّا هي، وإن لم تتبيّن فأنت تعبّد بالامتثال لأمر الله ﷻ.

(الآية ٢٧٩) – ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾: إذاً هناك من يريد ألّا يفعل، وبدليل ما نراه الآن في كلّ الكرة الأرضيّة من النّظام الرّأسماليّ.

﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: هذا أمر مخيف جدّاً، فهذه المرّة

الوحيدة التي يستخدم فيها المولى ﷻ هذه العبارة ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ﴾.

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدّثر: من الآية ٣١]، فلا تعرف من أين يأتيك، يمحق المال، ويأخذ الصّحّة، وتلاقي من العنت والشّدائد والمصائب والهموم ما تلاقي، وتُحاسب يوم القيامة، ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: من الآية ٢٠].

﴿فَأْذَنُوا۟﴾: من كلمة الإذن، والأذن هي وسيلة الإعلام، والآذان هو إعلام بدخول الوقت، الأذن هي وسيلة التّلقّي، وسيلة السّمع: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: من الآية ٣٦]، فأذنوا أي اعلموا، فهذا إعلام بحرب، هذه الحرب خصمك فيها من لا طاقة لك على مواجهته، الله ورسوله.

﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: لماذا؟ لأنّه ضمن لك رأس المال ومنع عنك زيادة الرّبا أو الفائدة التي هي حرام والتي حرّمها الله ﷻ، فإذاً الأمر يحتاج إلى توبة، من يرتكب الرّبا فقد ارتكب موبقة، قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السّبع الموبقات**»، قالوا: يا رسول الله، وما هنّ؟ قال: «**الشّرك بالله، والسّحر، وقتل النّفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم، والتّولّي يوم الزّحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[1].

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء]، الحديث رقم (٢٦١٥).

(الآية ٢٨٠) - ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾:

يضع المولى ﷻ الدّاء ويضع العلاج، فما هو العلاج الّذي وضعه القرآن؟ ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ﴾: هذا هو القرض الحسن، إذا كان الإنسان معسراً لديه ضيق لا يستطيع أن يوفّي القرض الّذي اقترضه في الوقت المحدّد، فنظرة الإسلام ليس للاقتصاد فقط، فالاقتصاد جزء لا يتجزّأ من حركة النّاس الاجتماعيّة؛ لأنّ الاقتصاد دعامة أساسيّة للمجتمعات، أدخل الإسلام هنا قضيّة جديدة على المفهوم المتعارف عليه، والّذي نجد أغلب المشكلات بين النّاس هي من جرّاء التّعاملات الماليّة، كما قال نبيّنا ﷺ: «**لكلّ أمّة فتنة، وإنّ فتنة أمّتي المال**»(١).

فإذا كان المقترض مُعسراً لا يستطيع سداد ما عليه فأنظره حتّى يتيسّر له سداد قرضه، ما هذا التّشريع الرّبّانيّ العظيم؟

﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: لم يكتف الإسلام بذلك وإنّما أضاف: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾، يعني تعفيه نهائيّاً، فهذا ارتقاء في الكمالات الإيمانيّة، يجب أن لا تلاحق المحتاج بدفع القرض في وقت محدّد إذا كان معسراً، فإن استطعت أن تعفو وتتصدّق بالقرض فهو أفضل، العمليّة الاقتصاديّة الإسلاميّة بُنيت على ثلاثة أمور: الأمر الأوّل: الرّفد،

---

(١) صحيح ابن حبّان: كتاب الزّكاة، باب جمع المال من حلّه وما يتعلّق بذلك، الحديث رقم (٣٢٢٣).

الأمر الثّاني: الفرض، الأمر الثّالث: القرض.

القرض الحسن بالشّروط الّذي تحدّثنا عنها بالآية. فما هو الرّفد؟ الرّفد أن ترفد المحتاج بالصّدقة، الصّدقة لا يوجد فيها عمليّة اقتصاديّة ولاتجاريّة ولاربا ولا دَين بل هي صدقة.

إذاً بني الاقتصاد الإسلاميّ على: أوّلاً الرّفد من الصّدقة، ثانياً بعد الرّفد من الصّدقة يأتي الفرض الّذي هو الزّكاة؛ لأنّ الله ﷻ جعل في أموال الأغنياء ما يسع الفقراء، فإذاً هي قضيّة تتعلّق بالحركة الاقتصاديّة للمجتمع، فقد جعل الله ﷻ حقوقاً للفقراء في أموال الأغنياء حتّى قال بعض العلماء: إنّ الّذي لا يدفع الزّكاة يعدُّ سارق؛ لأنّه سرق مال الفقير.

إذاً إن وجدت أنّ المقترض معسر لا يستطيع السّداد فعليك أن تتصدّق بالقرض، فهل يُتّهم هذا الدّين بأنّه دين القسوة ودين الإرهاب كما أرادوا أن يشوّهوه بتمثيلهم له؟! هذا الدّين الّذي يرتقي في الكمالات الإيمانيّة إلى درجة أن يبني الاقتصاد بهذا الشّكل، ولكن يوجد نقطة مهمّة نبّه عليها النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، فعن أبي هريرة ﷺ عن النّبيّ ﷺ قال: **«من أخذ أموال النّاس يريد أداءها أدّى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله»**[1]، فعندما تقترض وتريد أن تردّ القرض فإنّ الله تبارك وتعالى يردّ عنك، وهذه من العوامل التّحفيزيّة للعمل في مجال الاقتصاد.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الاستقراض وأداء الدّيون والحجر والتّفليس، باب من أخذ أموال النّاس يريد أداءها أو إتلافها، الحديث رقم (٢٢٥٧).

(الآية ٢٨١) - ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾:

يذكّر الله ﷻ المرابين ويذكّر أيضاً المؤمنين والمتصدّقين والمحسنين؛ لأنّ المحسن هو فوق المتصدّق، فالمحسن هو الّذين يعفو عن القروض إن كان المقترض معسراً، يذكّر الجميع بأنّ عليكم أن تتّقوا يوماً، أنت لا تتّقي اليوم، أنت لا تخاف من الزّمن بل تخاف من أحداث هذا الزّمن، من الأحداث التي ستجري في هذا اليوم، الّذي هو يوم القيامة ويوم الحساب، بالنّتيجة اتّقوا يوماً: أي اجعلوا بينكم وبين يوم الحساب حاجزاً، بأن تكون الحسنات أكثر: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾: الرّجوع إلى الله ﷻ عند انقضاء الأجل ليس بقرار من الإنسان، إنّما هو بقرارٍ من ربّ الإنسان.

﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: هذه هي الموازين القسط التي تُزان فيها الحسنات والسّيّئات، ولا شكّ بأنّ تعامل الإنسان وفق الإيمان مع أخيه الإنسان هو أكثر ما يثقل الميزان، لماذا؟ لأنّ الله ﷻ أراد من التّشريع الإسلاميّ أن يكون من أجل خير الإنسان، فالله ﷻ ليس بحاجة إلى صلاتك ولا إلى زكاتك ولا إلى حجّك ولا إلى صومك، وإنّما أنت تعمل لنفسك: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا﴾ [المزمّل: من الآية ٢٠]، فإذاً كلّ ذلك سيكون في ميزان حسناتك، وهذه الحسنات هي من

طبيعة تعامل الإنسان وفق أحكام شرع الله تبارك وتعالى مع أخيه الإنسان، فيكون المجتمع في غاية الرّقي، هذا الكلام ليس نظريّاً نرى سيّدنا عمر بن الخطّاب ﷺ عندما عيّنه أبو بكر ﷺ القضاء، وأنتم تعرفون معنى القضاء، كلّ ما ينشب من خلافات في المجتمع بين النّاس تتعلّق بالقضاء؛ لأنّ القضاء هو الحكم والفصل في النّزاعات إن كانت نزاعات اقتصاديّة أو اجتماعيّة أو جنائيّة، بكلّ الاتّجاهات، فعندما تولّى أبو بكر الصّدّيق الخلافة قام بتعيين عمر بن الخطّاب قاضياً على المدينة، فمكث عمر سنة لم يفتح جلسة، ولم يختصم إليه اثنان، فطلب من أبي بكر إعفاءه من القضاء، فقال له أبو بكر: "أمن مشقّة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟"، فقال: "لا يا خليفة رسول الله، ولكن لا حاجة لي عند قوم مؤمنين، عرف كلّ منهم ما له من حقّ فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يُقصِّر في أدائه، أحبّ كلّ منهم لأخيه ما يحبّ لنفسه.. إذا غاب أحدهم تفقّدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب واسوه، دينهم النّصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ففيم يختصمون؟ ففيم يختصمون؟". هذا المجتمع الّذي بُني على هذه الأحكام فلا يقولنّ قائل: إنّك تتحدّث عن أمور نظريّة أو أمور خياليّة في الأحلام، نحن لا نتحدّث عن أحلام نحن نتحدّث عن تعليمات إلهيّة وأحكام شرعيّة طُبّقت وكانت نتيجتها ما رأينا بقصّة عمر بن الخطّاب وسيّدنا أبي بكر، حتّى كان هارون الرّشيد ينظر وهو في العاصمة ويقول للغمامة: أمطري حيث شئتِ فسوف يأتيني خراجك، لا يأتي هذا الكلام هكذا دون يقين،

وإنّما من خلال هذا البناء الاقتصاديّ والاجتماعيّ والأخلاقيّ والقيميّ السّليم الّذي جاء به النّبيّ محمّد ﷺ.

(الآية ٢٨٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾﴾:

هذه الآية تختم القضيّة الاقتصاديّة، وقد وضع الإسلام قانوناً لم تستطع كلّ دول العالم أن تحيد عنه حتّى هذه اللّحظة، وهو فيما يتعلّق بتسجيل العقود عند كاتب العدل، حتّى كلمة كاتب العدل جاءت استناداً لهذه الآية الكريمة، آية المداينة ذكرت أنّ الدّين أو الحقوق يجب أن تُكتب وأن تُوثّق، وكلّ ما أُخذ بعد ذلك من عقود تجاريّة وصكوك تستند في البدء إلى آية المداينة، وهي أطول آية في كتاب الله ﷻ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾: الخطاب إن كان فيه تكليف فهو خطاب للمؤمنين؛ لأنّ الله ﷻ لا يكلّف من لا يؤمن، هنا لا ينطبق: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٦]؛ لأنّ عدم الإكراه يكون بالاعتقاد، أنت حرّ تؤمن بالإسلام أو لا تؤمن، أمّا إذا آمنت بالإسلام فيجب أن تطبّق ما أمر به الإله الّذي آمنت به، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]، نحن لا نسوق النّاس إلى الإسلام بسياط القوّة، وإنّما يُساق النّاس إلى دين الله ﷻ بأخلاق الإسلام وبالفكر والعقل والقناعة والحجّة والدّليل والبرهان، قال ﷻ: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة: من الآية ١١١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾: هذا توثيقٌ للعمليّة الاقتصاديّة وحفاظٌ على حقوق المدين وعلى حقوق الدّائن.

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: وقت محدّد.

﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾: وثّقوه واكتبوه.

﴿وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾: شرط الكتابة العدل، ومن هنا جاءت تسمية كتّاب العدل، اشترط الله ﷻ أن يكون هذا الكاتب بالعدل أي أن يكون حياديّاً بين الطّرفين حتّى تُحفظ حقوق النّاس الاقتصاديّة، فقد نجد أحياناً أنّ الأبناء والورثة يقتتلون على ميراث آباءهم وأمّهاتهم، إذاً هذا الكلام واقعيّ لمعالجة مشكلات واقعيّة.

﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾: كان عدد الكتبة في الجاهليّة قليلاً، فكان قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ تحفيزاً على قيام أشخاص معيّنين بهذه المهمّة وهي كتابة وتوثيق الدّيون بين النّاس. ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنّ كلّ العلوم، إن كانت الكتابة أو القراءة أو الثّقافة أو علوم الفضاء أو علوم الرّياضيات أو علوم الاقتصاد..، بالنّتيجة هي ممّا علّمك الله، فالله ﷻ هو من وضع الأسرار الكونيّة في هذا الكون ووضع فيك العقل حتّى تتعامل مع هذه الأسرار، ومن هنا جاء العلم.

﴿فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾: الّذي يقوم بالإملاء الكاتب هو الّذي عليه الحقّ، وليس صاحب الحقّ، فهو يُوثّق على نفسه.

﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾: يوجد فارق كبير بكلّ القضايا القيميّة والأخلاقيّة بين أن تكون القيم الأخلاقيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة من مصدر إلهيّ وبين أن تكون من مصدر بشريّ؛ لأنّ عنصر الرّقابة في الجانب المؤمن يكون من ذاتك لذاتك لماذا؟ لأنّك تؤمن بربّك فهذه نقطة هامّة جدّاً أغفلها النّاس عندما قال بعضهم: إنّهم سيكتبون مادّة الأخلاق، أو تحدّثوا عن الأخلاق، فالأخلاق إن لم ترتبط بالإيمان لا معنى لها ولا قيمة، ولن تستطيع أبداً أن تفرض الأخلاق بقوّة القانون، وإنّما برقابة ربّك وربّ القانون، إذاً ارتباط الأخلاق والقيم بتعاليم الأديان وبالرّقابة الذّاتيّة هي الوحيدة التي تضمن ذلك.

هنا أدخل تقوى الله ﷻ إضافة للتّوثيق، أراد أن يبيّن لك أنّ القضيّة ليست قضيّة توثيق فقط، لكن الأساس هو مخافة الله ﷻ، أن تضع في حسابك الله ﷻ، ولا تضع في حسابك المال أو الدّين أو الدّائن؛ لذلك قال: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾، ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ أي لا ينقص منه شيئاً حتّى يكون الأمر موثّقاً توثيقاً كاملاً ودقيقاً وصحيحاً حفاظاً على الحقوق في المعاملات والأمور التّجاريّة.

﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾: السّفيه: هو ضعيف العقل، أو هو الضّعيف عموماً، إمّا طفل أو شيخ هرم لا يستطيع أن يقوم بعمليّة الإملاء للكاتب بالعدل، إذاً الوليّ المقصود به الوصيّ الّذي يقوم مقامه.

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾: شهيد صيغة مبالغة من شاهد.

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾: هذه من الآيات التي يتعرّض لها النّاس ويحاولون من خلالها التّطاول على شرع الله ويقولون: إنّ الإسلام يعتبر المرأة نصف الرّجل، وأنّ الإسلام هضم حقوق المرأة، ومن الأدلّة التي يقدّمونها في سبيل ذلك هذه الآية، وآية الميراث وهي قوله ﷻ: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النّساء: من الآية ١١]، يقولون: إنّ الإسلام فرّق بين الرّجل والمرأة، طبعاً الإسلام جعل تكاملاً بين الرّجل والمرأة، هم من أصل واحد لكن للمرأة أموراً خاصّةً بها، وللرّجل صفاتٌ خاصّةٌ به، فالمرأة تحمل وتنجب وترضع وتأتي بعد ذلك التّربية وغزارة

العاطفة، فالتّركيب البنيويّ للمرأة يختلف عن التّركيب البنيويّ للرّجل، فإذاً جعل الله ﷻ تكاملاً لتقوم الحياة بين الرّجل والمرأة فهو لم يفضّل المرأة وكذلك لم يفضّل الرّجل، وإنّما فضّل النّاس بالتّقوى قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات]، وكذلك كلّ الآيات التي تتعلّق بالتّكليف والجزاء ساوى الله ﷻ فيها بين الرّجل والمرأة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النّحل]، ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب]، لكن لا يمكن أن يطلب من المرأة ما يطلبه من الرّجل، فعندما تقول: أُريد المساواة بين الرّجل والمرأة فهذا طلب خاطئ، نحن نريد التّكامل بين الرّجل والمرأة، وأن تأخذ المرأة كامل حقوقها، وإذا تتبّعنا القرآن الكريم نجده قد أعطى المرأة من الحقوق مالم تعطها إيّاه كلّ الشّرائع الأرضيّة، وعندما نفهم معاني القرآن والدّين ونطبّق بشكل صحيح نجد أنّ المرأة كُرّمت وأُعطيت في أمور أكثر ممّا أعطي الرّجل.

هنا يتحدّث المولى ﷻ عن الشّهادة، لكن هل كلّ شهادة للمرأة تحتاج إلى امرأتين أم شهادة معيّنة؟ تكفي شهادة المرأة في قضايا معيّنة، أمّا

في القضايا الجنائيّة وقضايا الاقتصاد والتّجارة والأسواق فإنّما تكون بشكل عامّ للرّجال؛ لأنّهم أقدر على أن يشهدوا على قضيّة كهذه فيها تكليف، فالمرأة لا تتحمّل أن تشهد على قضايا جنائيّة فيها قسوة على طبيعتها، سأضرب مثلاً القانون البشريّ يُوضع لعموم الأمر ويكون هناك استثناءات معيّنة، فعندما يقنّن المولى ﷻ ويضع تشريعات فتعطى هذه التّشريعات للشّكل العامّ ولا تعطى لحالات خاصّة، فالشّكل العامّ في عمليّات البيع والشّراء والدّين والمداينة والمشاجرات والمماحكات فالرّجل هو الّذي يقوم بهذا العمل أكثر؛ لذلك كان يُطلب الرّجل، لماذا؟ باعتبار أنّ المرأة هنا لا تعمل بهذا المجال فتحتاج إلى امرأتين، إذا ضلّت إحداهما أي أخطأت، وضلّت هنا ليست من الضّلال، ضلّ هنا معناها أخطأ أو نسي، فإذاً: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ تضلّ هنا إمّا خطأ أو نسيان، فما هو العنصر الّذي وجدوا فيه امتهاناً لحقّ المرأة؟! إنّما هو تكريمٌ للمرأة وليس امتهاناً لحقّها، لتحميلها في قضايا معيّنة شهادة تكون مضاعفة أفضل لها، والأمر نفسه في الميراث: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النّساء: من الآية ١١]، كيف؟ هل كلّ الميراث يكون للذّكر مثل حظّ الأنثيين؟ الكثير من صور تقسيم الميراث تكون حصّة المرأة أكثر من حصّة الرّجل؟ فإذاً هنا ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ لحالة محدّدة، ولو أنّنا أخذنا كلّ قضايا علم الفرائض ولاحظنا كيف توزّع أنصبة الميراث وفق شرع الله نجد الأمّ والأخت والزّوجة والبنت بالنّتيجة يكون الميراث للمرأة أكثر من الرّجل، وأمرٌ آخر أنّ الأنثى هي الأمّ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحقّ النّاس

بحسن صحابتي؟ قال: «أمّك»، قال: ثمّ مَن؟ قال: «ثمّ أمّك»، قال: ثمّ مَن؟ قال: «ثمّ أمّك»، قال: ثمّ مَن؟ قال: «ثمّ أبوك»[1]. فثلاثة آباء لا يعدلون الأمّ، فمن أجل شهادة تتعلّق بالبيع تقول لي: المرأة نصف الرّجل؟!! فعليك أن تأتي بالكلام كلّه ولا تجزّئه، فلا أحد أعطى المرأة حقوقها كما أعطاها الإسلام.

﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾؛ لأنّه أصبحت هناك أمانة في رقبة الشّهداء الّذين سيشهدون على حقوق النّاس، وعلى أن لا تضيع هذه المداينات بين النّاس والعقود التّجاريّة.

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: أي لا تملّوا، ولو كان الأمر صغيراً فالمفروض أن يُوثّق ويُكتب، والمفروض أن يكون هناك ضمانات مكتوبة إن كان صغيراً أو كبيراً.

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ﴾: فالنّبيّ ﷺ عندما كان يدعو النّاس للإسلام لا يطلب منهم إقامة الصّلاة فحسب، بل يدعوهم أيضاً إلى العدل الّذي أمر به الله ﷻ: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النّحل]، إذاً أوّل ما كان يتلّفظ به النّبيّ: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾الله هو العدل المطلق؛ لذلك قال ﷻ: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ ضمانة للعدل وأقوم للشّهادة حتّى إن كانت موثّقة.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب من أحقّ النّاس بحسن الصّحبة، الحديث رقم (٥٦٢٦).

﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: حتّى لا يدخل الارتياب بينكم في عمليّات البيع والتّجارة والمداينة وكلّ العمليات الاقتصاديّة والتّجاريّة.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾: عندما يوجد تجارة حاضرة وتصبح العمليّة مبادلة دائمة تأخذ بضاعة و... هنا لا يوجد داعي لأن تكتب، انظروا كيف ذكرها الإسلام منذ ذلك الوقت.

﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾: أي تعملون مع بعضكم فيها.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾.

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾: إذاً وأشهدوا إذا تبايعتم أيضاً، حتّى نوثّق العمليّات الاقتصاديّة بشكل عامّ.

وقت الأمانة غير وقت الأداء؛ لذلك كرّر المولى ﷻ (وأشهدوا) عند التّعامل بالبيع وبالقرض و..إلخ، عند الأمانة ينوي الآخذ أن يردّها إليك، ولكن عند أداء الحقّ قد يخفّ إيمان هذا الشّخص الّذي أخذ.

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: قال ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[1]، إذاً عليك ألا تضرّ الّذي سيعمل معك ويكتب، وعليك أن تخصّص له مبلغاً ماليّاً لقاء مجهوده، ومن هنا نجد وظيفة (كاتب بالعدل).

﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ﴾: إن فعلتم عكس ما أمر الله سبحانه وتعالى فهو خروج عن طاعته. وأصل الفسوق: الخروج، ومنه قولهم: فسقت التّمرة إذا انفرجت وانفتحت.

---

(١) مجمع الزّوائد: كتاب البيوع، باب لا ضرر ولا ضرار، الحديث رقم (٦٥٣٧).

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾: إذاً واتّقوا الله أثناء العمليّة الاقتصاديّة، أثناء البيع والشّراء والقروض والمعاملات.. أثناء كلّ ذلك اجعلوا تقوى الله هي العمدة بالنّسبة لكم؛ لأنّه طالما هناك تقوى لله من قِبَل الدّائن والمدين، من قِبَل البائع والمشتري... فإذاً هذه التّقوى هي الضّمانة لتحقيق كلّ هذه الأمور، وإن أخذنا بالأسباب بالتّسجيل وبالشّهود، ولكنّ الضّمانة الحقيقيّة هي تقوى الله ﷻ.

﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾: إذاً دائماً كلّ علم هو من الله ﷻ، وكلّما ازداد الإنسان تقوى كلّما زاده الله علماً وعرّفه ممّا لا يعرف، ويوجد الكثير من العارفين يأخذون من هذه الآية معاني كثيرة منها أنّ تقوى الله هي سبيل للعلم، يقول الإمام الشّافعيّ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأنّ العلم نورٌ ... ونور الله لا يُهدى لعاصي

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾: كلّ شيء ابتداءً من التّقوى انتهاء بالتّسجيل فالله به عليم، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النّساء: من الآية ٧٠].

(الآية ٢٨٣) - ﴿۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾:

﴿۞ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ﴾: في حالة السّفر لا يوجد كاتب عدل، إذاً لا مانع إن لم تجدوا فرهانٌ مقبوضةٌ، إذاً يوجد

رهن، أباح الإسلام هذا الأمر حتّى يكون هناك ضمانة إضافيّة.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: فإذا كنّا بطريق سفر يقول له: يا أخي لا أريد رِهاناً ولا أي شيء، لكن ربطه بتقوى الله لماذا؟ لأنّه: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ إذاً كلّ الأمر مربوط بتقوى الله.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾: يأتي الآن بعد الكاتب بالعدل وبعد الدّائن والمدين والعلاقات.. إلى الشّاهد، فإنّ عليه إثم إذا كتم الشّهادة؛ لأنّه حين كتم الحقّ، ومن خلال كتمانه جعل الباطل يكسب على حساب الحقّ؛ فلذلك نهى المولى عن الكتمان. وهنا سؤال: لماذا قال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ مع أنّ الشّهادة باللّسان وليست بالقلب؟ لأنّ القلب كما قال رسول الله ﷺ: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب**»[1]، إذاً فهو آثم قلبه؛ لأنّ القلب مصدر كلّ النّوازع النّفسيّة والإنسانيّة.

(الآية ٢٨٤) - ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾:

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: إذاً حصر الله ﷻ ملك الكون والتّصرّف فيه له، عندما قدّم ﴿لِّلَّهِ﴾ فكلّ ما سيأتي بعدها فهو ملك لله،

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم (٥٢).

فكلّ ما في السّماوات وما في الأرض ملك له جلّ وعلا، وإن اعتقد بعض النّاس في الأرض أنّ لهم ملكيّة، لكن هذه الملكيّة زائلة؛ لأنّه في عالم أغيار، فأنت تملك قصراً لكن إمّا إنّك ستغادر القصر إلى القبر وإمّا أن يغادرك القصر بالفقر، أليس كذلك؟ فإذاً ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ لا يوجد أحد معه حصر بالملكيّة إلّا الله ﷻ.

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾: بكى سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وبكى وبكى على هذه الآية، إن نُبدي ما في أنفسنا أو نخفيه يحاسبنا به المولى ﷻ؟! فجاءت الآيات ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[البقرة: من الآية ٢٨٦]، فإذاً إلى ماذا يُشير قوله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾؟ لأنّ هناك مواجيد قبل الأفعال، إمّا أن يهمّ الإنسان بالخير أو أن يهمّ بالشّرّ.. والإنسان إن فعل سيّئة كما قال النّبيّ ﷺ: «**من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشراً إلى سبع مئة ضعف، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت**»[(١)]، لكن بناء على هذه الآيات فهي:

١- إعلامٌ من الله ﷻ أنّه قد يُحاسب حتّى على ما في نفسك، إذا كان ما أضمرت في نفسك من شرّ قد حصل.

٢- إعلامٌ من الله بأنّه يعلم السّرّ وأخفى، ويعلم ما في نفسك.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب إذا همّ العبد بحسنة كُتبت وإذا همّ بسيئة لم تُكتب، الحديث رقم (١٣٠).

٣- وإعلامٌ من الله ﷻ للإنسان بأن يعتاد النّوايا الحسنة، وأن لا يهمّ بالأمر السّيّء، وأن تكون خواطر الإنسان قبل أفعاله حسنة؛ لذلك قال: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: طبعاً مشيئة الله ﷻ قد وضّحها أنّه يغفر الذّنوب جميعاً، قال ﷻ: ﴿* قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزّمر]، فلا نضيّق واسعاً، ولا نتدخّل في أمرٍ وسّعه الله ﷻ للخلق، ففي قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ أطلقها وفق مشيئته، وهناك طلاقة قدرة لمشيئته ﷻ، لماذا يغفر لمن يشاء؟ لأنّه على كلّ شيء قدير، وهو ليس بحاجة لا لعبادتك، ولا تضرّه معصيتك؛ لذلك ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(الآية ٢٨٥) - ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾:

هذه الآيات هي خواتيم سورة (البقرة)، وكما ورد عن النّبيّ ﷺ: «**بينا جبرئيل عليه السلام جالس عند رسول الله ﷺ إذ سمع نقيضاً من السّماء فرفع رأسه ثمّ قال: فتح باب من السّماء لم يفتح قبله قط، فإذا مَلَك يقول: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة**

البقرة، لم تقرأ منها حرفاً إلّا أعطيته»[1]، وكلّنا يحفظها وكلّنا يجب أن يحفظها.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾: كان ﷺ يقول في كثير من الأحداث التي تحدث: (أشهد أنّي رسول الله)، إذاً آمن الرّسول أوّلاً ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾، والمؤمنون بعد أن آمن الرّسول آمنوا على إيمان الرّسول؛ لذلك الوهّابيّة وأمثالهم ينكرون علينا زيارة النّبيّ ﷺ، فالكعبة هي بيت الله، نقول لهم: نحن ما عرفنا الله إلّا من خلال رسول الله عليه الصّلاة والسّلام، فحبّنا لرسول الله ﷺ ليس له حدود، نحن عرفنا الله وعرفنا بيت الله من خلال رسول الله ﷺ، ولولاه ﷺ ما آمنّا ولا عرفنا، والدّليل هو هذه الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾: عناصر الإيمان كلّها غيب كلّ آمن بماذا؟ بالله وملائكته وكتبه ورسله، قد يقول قائل: الكتب والرّسل ليست غيباً، لكنّ القرآن الكريم غيب، صحيح أنّه بالنّسبة لي مشهود لكنّه غيب عندما أُنزل، غيب من عند الله، والرّسول هو أيضاً بشر أمام الجيل الّذي عاصره، لكن كيف عرفوا أنّه رسول؟ فهذا غيب؛ لأنّه هو الّذي أخبرهم أنّ جبريل عليه السلام كلّفه من الله ﷻ.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾: هذا شعار الإسلام، نحن لا نفرّق في الإيمان بين الرّسل؛ لذلك نحن نؤمن بكلّ الأنبياء وبكلّ الكتب وبكلّ الرّسل الّذين ذكرهم القرآن الكريم، نحن نعظّم شعائر الله ﷻ، ونعظّم أنبياء

---

(١) المستدرك على الصّحيحين: ج١، ص ٧٤٥، الحديث رقم (٢٠٥٢).

الله عليه السلام نؤمن بهم جميعاً، نؤمن بسيّدنا المسيح عليه السلام، ونؤمن بسيّدنا موسى عليه السلام، نؤمن بسيّدنا إبراهيم عليه السلام، نؤمن بكلّ هذه الأديان أنّها نزلت من عند الله ﷻ، والكتب التي نزلت، نزلت من عند الله، إذاً لا نفرّق بالعقائد؛ لأنّ التّشريعات اختلفت إنمّا العقيدة عقيدة واحدة؛ لأنّها من لدن ربّ واحد، ﴿* شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشّورى]، فالدّين لا يؤدّي إلى الفرقة، بل يؤدّي إلى تكاتف المجتمع، وهذا الأمر بنى عليه الإسلام العقيدة: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾، ولكن قد يقول قائل: هناك آيات تُفرّق، كقوله: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الإسراء: من الآية ٥٥]، التّفضيل إمّا يكون بالمعجزات، وإمّا أنّ رسالته تسع كلّ خلق الله، كسيّدنا محمّد ﷺ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾: الّذين آمنوا قالوا سمعنا وأطعنا، أمّا اليهود: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [البقرة: من الآية ٩٣]؛ لأنّه لا يكفي أنّك تسمع فقط وأنّك تؤمن فقط لكن يجب أن تطيع أيضاً.

﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾: طالما سمعنا وأطعنا لماذا نطلب المغفرة؟ لأنّك مهما سمعت وأطعت فأنت مقصّر، لو بقيت كلّ حياتك وأنت ساجد لله ﷻ فهل تكون قد وفّيت حقوق الله عليك؟ لا، إذاً تحتاج إلى المغفرة، فعندما تعصي تطلب المغفرة وعندما تطيع يجب أن تطلب المغفرة.

﴿وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: فالمآل إليك يا ربّ.

(الآية ٢٨٦) - ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾:

أجاب الله ﷻ الدّعاء وجاءت هذه الآية وهي جواب على الّذي اعتقد بأنّ الله ﷻ سيحاسبه على ما في نفسه وليس على فعله فقال ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طالما كلّفك إذاً هي بوسعك، وتستطيع أن تؤدّي أكثر من ذلك، بدليل أنّه كلّفك بخمس أوقات صلاة، أنت تستطيع أن تصلّي خمسين ركعة، لكنّه لم يكلّفك بخمسين، كلّفك بصيام شهر واحد وأنت تصوم اثنين وخميس بالإضافة للشّهر، وأحياناً تصوم شهرين، كلّفك اثنين ونصف بالمئة في شأن الزّكاة، وأنت قد تدفع عشرة.. إذاً هو كلّف ما في الوسع، فطالما أنّك وجدت أمراً تكليفيّاً إيمانيّاً أمر به المولى ﷻ فاعلم أنّه بوسعك لماذا؟ لأنّه رخّص لك عندما لا يكون بوسعك فقال ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الفتح: من الآية ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤]، وقال ﷻ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾﴾ [التّوبة]، إذاً كلّ

شيء بالتّكليف ضمن الوسع.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾: إذاً ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ هو كسب لها؛ لأنّها تفعل لنفسها، فينفع الإنسان نفسه. ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ هو اكتساب الشّرّ عليها.

وهنا ختم بهذا الدّعاء العظيم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾: هذه الآيات يجب أن تكون محفوظة من كلّ النّاس وأن يدعو بها الإنسان، هذا الدّعاء هو دعاء المؤمنين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: قد يقول قائل: إنّ النّسيان لا يُحاسب عليه الإنسان، والنّبيّ ﷺ قال: «**رُفع عن أمّتي الخطأ والنّسيان وما استكرهوا عليه**»[1]، فكيف يقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾؟ إنّه الأدب مع الله ﷻ أن تقول عندما تعصي: إنّك نسيت أو أخطأت، أنت لم تنسَ أنت عاصٍ، لكن قولك نسيت يُعدّ أدباً مع الله ﷻ؛ لأنّه لا يحقّ للعبد أن يعصي الخالق ﷻ.

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾: والإصر هو الثّقل الكبير. ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ اليهود

---

(١) كنز العمّال: ج٤، ص ٢٣٣، الحديث رقم (١٠٣٠٧).

الّذين عملوا مع سيّدنا موسى عليه السلام فرض عليهم الكثير وحرّم عليهم الكثير من الأمور.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾: صحيح أنّ الله لم يكلّفك إلّا وسعك، ولا يحمّلك مالا طاقة لك به، لكنّ الإنسان يعتريه أحياناً ضعف في هذه الدّنيا، ويشعر أنّ المصاعب التي تعتريه لا طاقة له على حملها، فعندها يدعو بهذا الدّعاء العظيم.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾: نحن نحتاج إلى الثّلاثة:

١- العفو: هو محو أثر الذّنب، فنحتاج للعفو عن السّيّئات التي نرتكبها بحقّ النّاس.

٢- والمغفرة: هي غفران للذّنوب التي نرتكبها بحقّ ربّنا وبحقّ أنفسنا، بتقصيرنا بالعبادات.

٣- والرّحمة: هي أشمل وأوسع شيء، والرّحمة هي أن لا تقع في المعصيّة؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى عن نبيّه الكريمّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، فدين الإسلام هو دين الرّحمة؛ لذلك نبدأ سور القرآن ببسم الله الرّحمن الرّحيم، وننهي سورة (البقرة) ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾.

﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: وهذا دعاء المؤمنين في كلّ وقت.

تفسير سورة
(آل عمران)
من الآية: (١ – ٩٢)

تفسير سورة (آل عمران)

بعد ما تحدّثت سورة (البقرة) عن البعث والنّشور، وعن حياة الإنسان، وبعض الأحكام المتعلّقة بالقبلة، وبالحجّ، وأحكام متعلّقة بالمرأة والرّضاعة، وتحدّثت عن المداينة وتحريم الرّبا، ثمّ كانت خواتيم سورة (البقرة) حيث قال المؤمنون المسلمون: سمعنا وأطعنا، فإذاً أوّل قضيّة تأتي بعد هذه الأحكام هي قضيّة تتعلّق بالعلاقة مع موكب الرّسالات السّماويّة التي سبقت الإسلام ووحدة الدّين، قال ﷻ: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشّورى: من الآية ١٣]، فإذاً الدّين يجمع ولا يفرّق، يوحّد ولا يشتّت، فالأديان التي جاءت من لدن المولى ﷻ وقام بها رسل الله وأدّوا الأمانة والرّسالة إنّما جاؤوا بشرائع متعدّدة تناسب كلّ زمان، أمّا العقيدة فهي عقيدة واحدة: أساسها شهادة أن لا إله إلّا الله، فالعقيدة والجزاء والثّواب والجنّة والنّار والعقاب وقصص الأنبياء هي واحدة؛ لأنّه جاء في القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣﴾ [يوسف]، القصص هي أحداثٌ جرت عبر التّاريخ، فهي واحدةٌ في كلّ الرّسالات السّماويّة، وطالما أنّ سورة (البقرة) خُتمت بأنّنا كمسلمين مطالَبين أن نؤمن بكلّ الرّسل، وبكلّ الكتب التي سبقت، وأن لا نفرّق بين أحد من الرّسل من حيث الإيمان بهم، فالمثال الّذي أراد المولى ﷻ أن يضربه لنا بالنّسبة للأديان وبالنّسبة للرّسل السّابقة

كان يتناول سيّدنا المسيح عليه السلام وأسرته وجدّته، والبيئة التي احتضنت السّيّدة مريم، فكانت أوّل سورة تأتي باسم (آل عمران).

من هم آل عمران؟ هم آل السّيّدة مريم وباسمهم سمّيت سورة (آل عمران): ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران]، وهذه السّورة من أطول سور القرآن الكريم بعد سورة (البقرة)، وقد قال عنهما النّبيّ ﷺ: «**تعلّموا سورة البقرة وآل عمران فإنّهما الزّهراوان، وإنّهما يظلّان صاحبهما يوم القيامة كأنّهما غمامتان أو غيايتان أو فَرَقان من طير صوافّ**»(١).

(الآية ١) – ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾:

تبدأ السّورة كما بدأت سورة (البقرة) بالأحرف المقطّعة ﴿الٓمٓ﴾ ولا بدّ كلّما بدأنا بسورة من السّور التي فيها الأحرف المقطّعة أن نعيد بعض المعاني التي نستنبطها من الأحرف المقطّعة في بداية السّور، وماهي فائدة هذه الأحرف المقطّعة؟ وقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، إذاً هو للتّدبّر والاستفادة والتّذكير، فما هي

(١) شعب الإيمان: التاسع عشر من شعب الإيمان، فصل في إدمان تلاوة القرآن، الحديث رقم (١٩٨٩).

فائدة ﴿الٓمٓ﴾، و﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم]، ﴿نٓ﴾ [القلم: من الآية ١]، ﴿الٓرٰ﴾ [يونس: من الآية ١]؟ وما فائدة كلّ الأحرف المقطّعة التي وردت في كتاب الله تبارك وتعالى؟ هنا لا بدّ أن نُجيب عن ذلك عقليّاً لإقناع الآخرين، نحن نأخذ الدّين بالتّسليم؛ لأنّنا مسلمون، لكن عندما نخاطب النّاس يجب أن نبيّن لهم إذا عرفنا الحكمة، وأن ننقل إليهم ما قاله معظم العلماء عن الأحرف المقطّعة، فالسّؤال الّذي يجب أن نجيب عنه، هل كلّ ما لا نعرف كيفيّته لا نستفيد منه؟ أنت تستفيد من الكهرباء ولكن هل تعرف ماهيّة الكهرباء؟ فالإنارة في منزلك نتيجة الكهرباء، إذاً ليس كلّ ما لا تعرف ماهيّته لا تستفيد منه، وهنا لماذا تستفيد من الأحرف المقطّعة دون أن تعرف العلّة أو الحكمة منها؟ لأنّ القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ، إذاً هناك فارق بين كلام الله وبين كلام البشر، ولا يمكن أن يكون بنفس الصّيغ والتّعابير إلّا التي أراد الله ﷻ أن يبيّنها للخلق، لكن هناك أسراراً في كتابه احتفظ بعلمها جلّ وعلا؛ لذلك قال ﷺ: «**فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه**»[1]، فانسب الفعل إلى الفاعل، فأنت عندما تقول: إنّ هذا كلام الله إذاً هناك آيات محكمات وأخر متشابهات؛ لذلك بعد ثلاث آيات ذكر الله ﷻ ما يتعلّق بالآيات المحكمات والمتشابهات، والأحرف المقطّعة ومنها ﴿الٓمٓ﴾ التي ابتدأت بها هذه السّورة من

(١) سنن الدّارميّ: كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام، الحديث رقم (٣٣٥٧).

المتشابهات، أي لا نعرف حقيقة معناها بل نؤمن بها ونستفيد منها حيث قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف**»[1]، إذاً نحن نستفيد من قراءة كلّ حرف من كتاب الله ﷻ.

الأمر الآخر أنّك عندما تقرأ القرآن فإنّك تقرؤه بسرّ الله فيه وليس بفهمك فقط، بينما نجد أنّ كلّ كتب البشر تُقرأ بالفهم فقط، أمّا القرآن الّذي هو كلام الله وصفة من صفاته فإنّه لا يُقرأ إلّا بشيئين:

١- بالعقل والفهم.

٢- ويُقرأ أيضاً بمفتاح وهو سرّ الله.

إذاً ﴿الٓمٓ﴾ سرّ من أسرار الله. ويوجد قسم من العلماء قالوا: إنّها أحرفٌ للتّنبيه، وآخرون قالوا: هذه حروف من نفس الحروف التي يتشكّل منها القرآن الكريم، فالمقصود بها الإعجاز، ومنهم من قال: إنّها اسم للسّورة... إلى غير ذلك. والسّؤال هنا: هل يوجد كاتب على وجه الأرض يكتب كلمةً أو حرفاً في كتابٍ سيقدّمه للنّاس ثمّ يقول: سأحتفظ بمعناه لنفسي؟ هذا دليلٌ أنّه من عند الله ﷻ؛ لأنّه لو كتبه النّبيّ ﷺ أو أحد من البشر لما تجرّأ أن يكتب حروفاً لا يعرف النّاس معناها، ويقول لهم: سأحتفظ بسرّها عندي، فهذا أيضاً دليلٌ قاطع على أنّ القرآن الكريم كلام الله كما

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، الحديث رقم (٢٩١٠).

قال ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية]، ولا دخل لبشر فيه، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾ [الأحقاف].

إذاً هذه الأحرف المقطّعة هي نصف حروف الهجاء، مجموعة في عبارة: (نصّ حكيم له سرّ قاطع)، ومن الإعجاز أن تُجمع هذه الحروف في جملة معناها أنّها سرّ، فهي نصّ حكيم له سرّ قاطع.

وكذلك فإنّ طريقة كتابتها تُشبه مواضع أخرى تُقرأ فيها الحروف بهجائها وليس بأسمائها، مثال قوله ﷻ: ﴿الٓمٓ﴾: هناك مواضع أخرى في كتاب الله مثل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل]، فكلمة: ﴿أَلَمْ﴾ هنا تُكتب بنفس الطّريقة تماماً، لكنّها تُقرأُ بهجائها لا بسمّيات حروفها، فلا أقول: ألف لام ميم، بل تُقرأ: (ألم)، وهذا ممّا علّمه جبريل عليه السلام للنّبيّ ﷺ؛ لذلك يقول السّادة العلماء: إنّ القرآن الكريم لا يمكن أن يُتعلّم إلّا بالتّلقين والمشافهة من أفواه المشايخ المتقنين بسند متّصل إلى رسول الله ﷺ.

(الآية ٢) – ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾:

﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر.

﴿ٱللَّهُ﴾: واجب الوجود، وكلّ النّاس بفطرتهم يعرفون الله ﷻ، والدّليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا

﴿غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف]، إذاً معرفة الله أمرٌ مركوزٌ في الفطرة الإنسانيّة، وهذه الفطره قد يعتريها ما يشوّهها فيرسل الله ﷻ الأنبياء والرّسل حتّى يعودوا بالنّاس إلى عقيدة: لا إله إلّا الله.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: يقول ﷺ: «**أفضل ما قلت أنا والأنبياء قبلي عشية عرفة: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له**»[1]. طالما أنّه ﷻ قال: إنّه لا يوجد إله غيره، وأخبرنا أنّه هو الّذي خلق السّماوات والأرض والبشر والشّجر والحجر والجماد والنّبات، فالدّعوة تسلم لصاحبها ما لم يوجد مُعارِض، فلو كان مع الله إله آخر لخرج هذا الإله علينا وقال: أنا الإله، وأنا مَن خلق السّماوات والأرض، فالأمر ثابت لله ﷻ طالما أنّه لم يوجد مَن يُعارضه ولن يوجد، ونضرب مثالاً، ولله المثل الأعلى: إذا كان هناك جماعة من النّاس متواجدين في مكان ما، ثم ذهب كلٌّ منهم إلى داره، وعندما دخل المسؤول عن هذا المكان لترتيبه وجد فيه محفظة فيها مبلغ من المال، ثمّ جاءه رجلٌ ممّن كانوا متواجدين قائلاً: إنّه نسي محفظته، فالدّعوة تسلم له ما لم يوجد معارض، فإذا لم يأتِ أحد غيره ويدّعي أنّ هذه المحفظة له، فهي لمن طالب بها بالحجّة والبرهان. فكلّ ما جاء في القرآن الكريم إنّما يعتمد على الحجّة والبرهان والمنطق.

﴿ٱلْحَىُّ﴾: الله ﷻ حيّ وكلّ المظاهر التي توجد على الأرض وفي السّماوات هي مظاهر حياة، لكن صفة الحيّ عندما تطلق على الله سبحانه

---

(١) كنز العمّال: ج٥، ص٧٣، الحديث رقم (١٢١٠٨).

وتعالى فهي تعني أنّه حيّ قبل الأزل وقبل الوجود، وهو حيّ لا يموت: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: من الآية ٨٨]، فإذاً هو مصدر الحياة.

﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾: المتصرّف القائم على تدبير شؤون خلقه، وقيّوم صيغة مبالغة من قائم، فاطمئن فإنّه لا يغفل عنك:

لا تدبِّر لكَ أمراً فذووا التّدبير هلكى

سلِّم الأمر إلينا نحنُ أولى بكَ منك

خذ بالأسباب وتوكّل على ربّ الأسباب، فهو المتصرّف المدبّر لشؤون الخلق؛ لذلك يقول علماؤنا: لا تقلق من تدابير البشر فإنّ أقصى ما يستطيعون فعله معك هو تنفيذ إرادة الله ﷻ فيك؛ لأنّه الحيّ القيّوم.

(الآية ٣) – ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣﴾:

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: نزّل عليك القرآن يا محمّد بالحقّ كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ﴾ [الإسراء: من الآية ١٠٥]، والحقّ هو الشّيء الثّابت الّذي لا يتغيّر.

﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: ما بين يديه أي الكتب التي سبقته، فالقرآن مصدّق لما جاء في التّوراة والإنجيل فيما يتعلّق بالعقائد والآخرة وأصول الدّين، وما يتعلّق بوحدانيّة الله ﷻ والجنّة والنّار...

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾: هناك فارق بين نزّل وأنزل، عندما تحدّث عن القرآن الكريم قال: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾، وعندما تحدّث عن التّوراة والإنجيل

قال: ﴿وَأَنزَلَ﴾، مع أنّه يوجد آيات تتعلّق بالقرآن استخدم فيها لفظ (أنزل)، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر]، لماذا؟ لأنّ القرآن الكريم نزل مفرّقاً على قلب المصطفى ﷺ، أمّا عندما تقول: (أنزل) فالمقصود أنّه نزل جُملة واحدة، فالتّوراة نزلت دفعة واحدة وكذلك الإنجيل، بينما القرآن نزل منجّماً خلال ثلاثة وعشرين عاماً، أمّا قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر]، فالمقصود أنّه نزل من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا دفعة واحدة، ثمّ نزل منجّماً على قلب سيّدنا رسول الله ﷺ، فعندما يتحدّث عن الإنزال الأوّل من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا يقول: (أنزل)، أمّا (نزّل) فالمقصود نزوله مفرّقاً، وأوّل ما نُزّل في الغار على سيّدنا النّبيّ قوله: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: من الآية ١]. ونحن نؤمن بالكتب السّماويّة، وهذا مصداق للآيات في خواتيم سورة (البقرة).

(الآية ٤) – ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾:

قد يقول قائل: لماذا التّكرار؟ هنا لا يوجد تكرار، وعليك أن تنظر إلى سياق الآية القرآنيّة.

﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: من قبل نزول القرآن أنزل التّوراة والإنجيل لهداية النّاس، فما هي الهداية؟ هي الدّلالة على الطّريق المستقيم، فعندما ذكر أنّ نزول التّوراة والإنجيل كان قبل نزول القرآن، كان لا بدّ من أن يقول بعدها: ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ﴾ فالقرآن هداية للنّاس أيضاً، حتّى لا تعتقد أنّ هداية

النّاس محصورة فقط بالكتب السّابقة؛ فلذلك تكرّر التّنويه إلى نزول الفرقان.

لماذا سمّى القرآن الكريم الفرقان؟ ليبيّن أنّه سيحدث صراع بين الحقّ والباطل، وبين الخير والشّرّ، فالقرآن يُفرّق بين الحقّ والباطل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ﴾: بعد كلّ هذا البيان والإقناع بالحجّة والبرهان فالّذين كفروا لهم عذاب شديد من قبل الله ﷻ، وليس لنا أن نُكره أحد على الدّخول في الإسلام، وقد قال ﷻ مُخاطباً نبيّه: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية].

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: والعزيز هو الغالب الّذي لا يُغلب، وتأتي بمعنى المستغني الّذي لا يحتاج إلى عبادة النّاس كما جاء في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**»[1]، فالله ﷻ ليس بحاجة لعبادتنا.

﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: يكون هذا من جرّاء الجحود بالإيمان بالله ﷻ، والكفر بأنعمه ﷻ.

(الآية ٥) – ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾:

أراد أن يبثّ في نفس الإنسان الاطمئنان وخصوصاً إذا كان هذا الإنسان مؤمناً بوجود الله، أنّه يعلم السّرّ وأخفى، فأنت أين ما كنت وبأيّ

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

وقت كنت فإنّ الله ﷻ مطّلع على الأعمال والسّرائر.

والسّماء والأرض ملك لله ﷻ، ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة]، فإذاً هو المتصرّف والمدبّر لشؤون الخلق كما قال في أوّل السّورة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾، وهذا الإله المدبّر لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء. فلا يمكن أن تكون هناك أخلاق وقيم من دون الرّقابة الدّينيّة التي تنشأ نتيجة علم الإنسان أنّ الله ﷻ لا يخفى عليه شيء، وهي الضّمان كيلا يجترئ أحد على الكذب والغيبة والنّميمة والسّرقة والزّنى والرّشوة وارتكاب الموبقات وشرب الخمر... إن كان مؤمناً أنّ الله معه يسمع ويرى.

(الآية ٦) - ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾: لم يقل: (هو الّذي صوّركم) بالماضي، إنّما استخدم الفعل المضارع الّذي يدلّ على الاستمرار؛ لأنّه في كلّ لحظة من اللّحظات يتمّ فيها تلقيح البويضة في الرّحم ويحدث حمل، فالحمل ليس مثل القالب، يصنعون بواسطته مئات الآلاف على نفس النّموذج، الخلق ليس كذلك، الله ﷻ يقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الرّوم]، والتّصوير في الأرحام هو جعل الشّيء على صورة معيّنة، أبيض أو أسود، ذكر أو أنثى.. واختلاف الألسنة واختلاف الألوان هذا هو التّصوير في

الأرحام، وكلّ ذلك وفق مشيئته، فالله ﷻ جعل لكلّ إنسان في كلّ يد خمس أصابع، لكنّه إن شاء يخلق أحدهم بستّ أو سبع أو ثلاث أصابع.. يخلق هذا أعمى وهذا أطرش وهذا بعاهة، هذا الخلق لماذا يكون فيه شذوذ عمّا اعتاده النّاس؟ ليلفت المولى ﷻ النّاس وخصوصاً الّذين يسهون عن نِعَم الله ﷻ، فقد يعتقد بعضهم نتيجة الرّتابة أنّ هذا الأمر هو أمر له ديمومة، ولا يطرأ عليه تغيير، فينبّههم أنّهم من عالم الأغيار، فاليوم قد يكون الإنسان صحيحاً وغداً سقيماً، اليوم غنيّ وغداً فقير، اليوم حيّ وغداً ميّت، فإذاً كان هناك بعض الشّذوذ في الخلق فالمراد منه أن ينظر الإنسان دائماً إلى نِعَم الله ﷻ ولا يسهو عنها.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾: العزيز هو الغالب الّذي لا يُغلب، والمستغني الّذي ليس بحاجة الإنسان، ولكن مع عزّته هناك حكمة، فلا تقل لماذا خُلق هذا أكتع؟ وخُلق هذا أعمى؟ وخُلق هذا أصمّ؟ وخُلق هذا أبكم؟ لأنّ الحكمة قد غابت عنك، ونحن عندما نتحدّث عن الحكمة في الأمور الدّينيّة، يجب أن ننوّه أنّ الإنسان عندما يؤمن بالله ﷻ وبعد أن اقتنع بالدّليل النّقليّ والعقليّ أنّ هناك إلهاً واحداً، وهذا الإله هو الخالق، وهو المصوّر وهو البارئ.. ثمّ تأتيه بعد ذلك الأوامر الإلهيّة فعليه أن يتعلّق بأمر الآمر وليس بالحكمة؛ لأنّ الّذي يتعلّق بالحكمة فإنّه عبد لها، وليس عبد لربّ الحكمة؛ لذلك قال: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فالمؤمن لا يقول: سأمتنع عن أكل لحم خنزير؛ لأنّه يضرّ الكبد، وسأمتنع عن شرب الخمر؛ لأنّها تُذهب

العقل، وهكذا.. بل يطبّق ما أُمِر به طاعة لله واستجابة لأمره، وبعد ذلك إن تبيّنت الحكمة فنعمّا هي، وإن لم تتبيّن فالله ﷻ أهلٌ أن يُعبد وأهلٌ أن يُطاع؛ لذلك قال النّبيّ ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه تَبَعاً لما جئت به**»[1].

(الآية ٧) - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾: هناك كثير من النّاس يحاولون أن يشوّهوا القرآن ويسيئوا فهم الدّين وفهم آيات القرآن الكريم ومن بينهم المستشرقون وبعض مدّعي العلم.

﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: المُحكَم: هو الّذي لا يتسرّب إليه خلل في الفهم، وعُرِف المراد منه، وهو لا يحتمل من التّأويل إلّا وجهاً واحداً.

وهكذا فإنّ كلّ الآيات المتعلّقة بالأوامر والنّواهي هي آيات محكمة، أمّا المُتشابه: مأخوذ من الشَّبَه، وهو التّماثل بين شيئين أو أشياء، ولَـمّا كان التّماثل بين الأشياء يؤدّي إلى الشّكّ والحيرة، ويُوقع في الالتباس، توسّعوا في اللّفظ، وأطلقوا عليه اسم (المتشابه)، ويُقصد به ما كان غير واضح الدّلالة، أو ما احتمل أكثر من وجه.

---

(١) جامع العلوم والحكم: ج١، ص٤٣، الحديث رقم (٤١).

مثال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة]، هذه آية محكمة، إذاً الآيات المحكمة هي الآيات المتعلّقة بأشياء عليك أن تفعلها، أمّا الآيات المتشابهة متعلّقة بأشياء عليك أن تؤمن بها فقط، ففي العقائد يريد منك أن تؤمن أنّه يوجد جنّة، ولكن هل تستطيع رؤية الجنّة؟ يوجد ملائكة يوجد نار يوجد آخرة... إذاً بالعقيدة مطلوب منك أن تؤمن، أمّا بالأحكام فمطلوب منك أن تفعل؛ لذلك كلّ ما يتعلّق بالأحكام جاءت آياته محكمة، فلا يستطيع أن يقول قائل: إنّ المراد من الصّلاة أن يصلّي الإنسان بروحه وبقلبه...، فهذه لا تحتمل التّأويل إلى أكثر من محمل، فهي واضحة المدلول، لكن هناك آيات طُلب منك أن تؤمن بها ولم يُطلب منك أن تفعل شيئاً، كقوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام]، لا يُطلب منك أن تفعل شيئاً عرفت كيف (لا تدركه الأبصار) أم لم تعرف، وكذلك قوله ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح: من الآية ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه]، استواؤه معلوم والكيف مجهول، فقد استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر، فكلّ آيات الصّفات من المتشابه بالنّسبة لنا من حيث كيفيّتها، ولكن لدينا قانون ثابت وهو أنّه ﷻ: ﴿لَيۡسَ

﴿كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، فكلّ أمر يُنسب لله ﷻ عليك أن تنزّهه عن الشّبيه والمثيل، وتعلم أنّ كلّ ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: من الآية ٣٩]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطّور: من الآية ٤٨]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: من الآية ١٠]، فكلّ هذه الآيات نؤمن بها كما أخبر بها المولى ﷻ لا كما يخطر للبشر؛ لذلك نلاحظ أنّ كلّ ما يتعلّق بفعل لله لا يستطيع أن يفهمه البشر، أو أن تحدّه عقولهم يأتي قبله كلمة (سبحان): ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس]. إذاً يوجد في القرآن الكريم:

١- آيات تتعلّق بأمور غيبيّة لا يستطيع أن يطيقها العقل البشريّ تشتبه عليه، فالإنسان يؤمن بها على مراد الله.

٢- وآيات الأحكام التي تتعلّق بما يجب على المؤمن فعله، وهي واضحة، لا يلتبس معناها على السّامع.

﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: (أمُّ) تعني الأصل، إذاً عليك أن تردّ المتشابه إلى المحكم، مثال: مرّ معنا قوله ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: من الآية ١٠]، وهي من الآيات المتشابهات، ومرّ معنا قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، وهي من الآيات المحكمات، فإذاً أقول يد الله بلا تجسيد ولا تمثيل، لعلمي أنّه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: الزّيغ يعني الميل، والمقصود الّذين في قلوبهم ميل بالهوى وخروج عن الحقّ إلى الباطل، فهم يتّبعون ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾؛ لأنّ المتشابه لا يمكن للعقل البشريّ أن يطيق معناه، مثالٌ على ذلك ولله المثل الأعلى: كلمة تلفاز كلّنا يعرف معناها، لكن لو قيلت هذه الكلمة في مكان لم يصل إليه هذا الاختراع، لما استطاع أحد تصوّره، فعندها يُستخدم أسلوب التّشبيه لتقريبه إلى أذهانهم، كقوله ﷻ: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرّعد: من الآية ٣٥]، هي ليست هكذا؛ لأنّه قال: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾، فهو تشبيه لتقريبها إلى أذهان البشر. فالّذي يتّبع المتشابه يحاول أن يفهم حقيقة المعنى رغم أنّ عقله لا يستطيع تفهّمه، فمهما حاولنا أن نتخيّل شجرة الزّقوم أو الشّياطين أو الملائكة لا نستطيع الإتيان بالصّورة الحقيقيّة؛ لأنّه لم يرها أحد.

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾: يريدون تحريفه إلى ما يريدون، عن حذيفة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ ذكر أنّ في أمّته قوماً يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدَّقل، يتأوّلونه على غير تأويله(١).

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾: اختلف القرّاء في الوقف هاهنا، فيوقف: إمّا على لفظ الجلالة، أو على قوله ﷻ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾.

---

(١) كنز العمّال: ج١١، ص٣٠٤، الحديث رقم (٣١٥٨١).

والتّأويل: يُطلق ويُراد به في القرآن معنيان:

أحدهما: التّأويل بمعنى حقيقة الشّيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: من الآية ١٠٠]، وقوله جلّ وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٣]، أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتّأويل هذا، فالوقف يكون على لفظ الجلالة؛ لأنّ حقائق الأمور وكنهها لا يعلمها على حقيقتها الجليّة إلّا الله ﷻ.

ثانيهما: أنّه يُراد بالتّأويل التّفسير والتّعبير والبيان عن الشّيء، كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: من الآية ٣٦]، أي: بتفسيره.

فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف يكون على: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ لأنّهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علماً بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه.

﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمتشابه، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كلّ من المحكم والمتشابه حقّ وصدق، وكلّ واحد منهما يصدّق الآخر ويشهد له؛ لأنّ الجميع من عند الله ﷻ، ولا يوجد شيء من عنده جلّ وعلا بمختلف ولا متضادّ لقوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النّساء].

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أي أولو العقول السّليمة، فأنت تحتاج

إلى عقل ومنطق لتردّ المتشابه إلى المحكم، طالما أنّك آمنت بربّك إذاً تأخذ عن ربّك ما هو متشابه وتقول: آمنت بكلام الله على مراد الله ﷻ.

(الآية ٨) – ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع النّبيّ ﷺ يُكثر أن يدعو: «**يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك**»، قلت: يا رسول الله، دعوة أراك وأسمعك تُكثر أن تدعو بها: يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك، قال: «**ليس من آدميّ إلّا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**»[1].

﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: فالهداية تكون من الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: من الآية ٥٦]، ومن كتاب الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية ٩]، ومن سنّة رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: من الآية ٥٢].

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾: هب لنا؛ لأنّ الرّحمة عطاء وهبة من الله تبارك وتعالى، فهي ليست حقّ لك. ودين الإسلام صفته الأساسيّة أنّه دين الرّحمة لماذا؟ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء]، فديننا رحمة بالإنسان وبالحيوان وبالنّبات وبجميع خلق الله، فكيف بدينٍ عنوانه الرّحمة وربّه ﷻ من أسمائه: الرّحمن الرّحيم، ونبيّه هو رحمة

(١) سنن النّسائيّ الكبرى: كتاب التّعبير، باب ٤٧، الحديث رقم (٧٧٣٧).

للعالمين، ثمّ يكون المسلم مصدراً للقتل وللشّرّ وللأذيّة ولجميع أنواع الآثام في المجتمعات، كيف نحوّل الإسلام من دين رحمة ومن عطاء إلهيّ ومن نبيّ كريم يقول له المولى ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، إلى إجرام وقتل؟!

(الآية ٩) – ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ﴾: كلّ إنسان ينظر إلى الحياة العاجلة فقط فهو ينظر إلى جزء من مسرح الحياة، فمسرح الحياة له فصلان: الفصل الأوّل الحياة الدّنيا، والفصل الثّاني الحياة الآخرة، فإذا أهملت الفصل الثّاني فإنّك تجد الصّورة مبهمة ومشوّشة، والأساس في عمل الإنسان أنّ الله تعالى جامع النّاس ليوم لا ريب فيه، هذا اليوم هو يوم القيامة والوقوف بين يدي الله ﷻ للحساب، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشّعراء]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان].

فالمؤمنون يقولون في دعائهم: إنّك –يا ربّنا– ستجمع بين خلقك يوم معادهم، وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، وتجزي كلّاً بعمله، وما كان عليه في الدّنيا من خير وشرّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: إذا وعد المولى ﷻ فإنّ وعده محقّق.

(الآية ١٠) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝١٠﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾: قلنا سابقاً: إنّه لا يوجد تجريم بدون نصّ، هذا في القانون الوضعيّ، فهذه النّصوص تبيّن لماذا يدخل هذا إلى الجنّة وهذا إلى النّار. والإنسان يستبقي الحياة بشيئين اثنين: ١- بالذّريّة.

٢- وبالأموال.

فبيّن الله ﷻ ما الّذي ينفع الإنسان في هذا اليوم: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشّعراء]، فالّذين كفروا في هذا اليوم لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم، ولن تفيدهم ولن تكون شفيعاً لهم.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾: أي إنّهم هم الّذين سيكونون حصب وحطب جهنّم جرّاء كفرهم بآيات الله وبما نزّل على رسول الله، وجحودهم بنعمة الله ﷻ.

(الآية ١١) - ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١١﴾:

الدّأب: العمل دون انقطاع.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: أي كصنيع آل فرعون، أو كشبه آل فرعون، فضرب الله بهم المثل أنّهم استمرّوا بدون انقطاع في جحودهم وكفرهم بآيات الله وما نزل به سيّدنا موسى عليه السلام.

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: الآية هي المعجزة أو الشّيء العجيب: ﴿فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦﴾ [الشّعراء: من الآية ١٠٤]، أي دليل معجز.

كذّبوا بكلّ الآيات، وآيات الله ﷻ ليست فقط في المعجزات التي تُبهر الأبصار، وإنّما هي أيضاً في معجزات موجودة ولكن عميت عنها الأبصار، من الهواء إلى الماء إلى شروق الشّمس إلى غروبها إلى الأمطار إلى البحار إلى الأنهار إلى كلّ ما هو مِن خلق الله ﷻ: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذّاريات]، فجحدوا بكلّ هذه الآيات فأخذهم الله ﷻ بذنوبهم؛ لأنّ الله ﷻ دعا النّاس إلى الإسلام وهو بشكل عامّ اسم لكلّ الأديان: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحجّ: من الآية ٧٨]، ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ﴾: فلا تجريم بدون نصّ، والجرم الّذي ارتكبوه هو الذّنب؛ لذلك أخذهم الله بذنوبهم بعد أن أنذرهم.

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: نحن نعلم أنّ الإسلام هو دين رحمة ودين محبّة، لكن هذا لا يلغي أنّ الله شديد العقاب، ولا يمكن أن تسير الحياة من دون جناحين:

- الجناح الأوّل: هو جناح الرّغبة.
- والجناح الثّاني: هو جناح الرّهبة.

وعندما يصدر قانون بشريّ وضعيّ فإنّهم يضعون عقوبات حتى يُطّبق هذا القانون.

(الآية ١٢) - ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢﴾:

إنّ إبقاء كلمة ﴿قُل﴾ لهو أكبر دليل أنّ النّبيّ ﷺ لا يستطيع أن يغيّر حرفاً في القرآن الكريم، فلو كان من عند نفسه كما يدّعي أعداء الإسلام لحذف كلمة ﴿قُل﴾.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ﴾: بيّن الله ﷻ أنّ الغلبة ستكون للإيمان، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١﴾ [الإسراء]، فدائماً هناك فريقان: معسكر الإيمان ومعسكر الشّرك والكفر والفساد في الأرض، ودائماً هناك صراع بين الحقّ والباطل، لكنّ الحقّ سينتصر والدّليل هذه الآية، عندما دخل النّبيّ ﷺ مكّة عام الفتح وانتصر من دون قتال، كان بيده عصا صغيرة وهو يشير إلى الأصنام التي حول الكعبة فتتحطّم، وهذا دليل على أنّ الباطل سيُغلب بالحكمة والحجّة والبرهان والدّليل: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ [النّمل: من الآية ٦٤]، وليس بقوّة السّيف.

﴿وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمۡۖ﴾: يوم الحشر هو اليوم الّذي يجمع الله تبارك وتعالى فيه الخلائق كلّهم للحساب والجزاء، وسيكون يومها مآل الكافرين إلى جهنّم.

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: والمهاد هو المكان الّذي ينام فيه الطّفل، فبئس المهاد الّذي سيؤولون إليه.

(الآية ١٣) - ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾:

يدلّل المولى ﷻ على ما جرى في غزوة بدر، وهي أوّل صدام مسلّح يحدث بين معسكر الإيمان ومعسكر الشّرك والكفر والضّلال الّذي كان يقوده أبو جهل وأبو سفيان، وكان النّبيّ في معركة بدر لا يوجد معه أكثر من ثلاث مئة رجل، وكيف أنّ هذه الفئة القليلة التي استنفرها النّبيّ ﷺ لإعادة جزء من أموالهم وتجارتهم التي سرقها المشركون عندما أخرجوهم من ديارهم بغير حقّ، عندها كان الأمر السّببيّ والأمر الطّبيعيّ أن تغلب الكثرةُ القلّة، حيث كان عدد المشركين ثلاثة أضعاف المسلمين، والعتاد والسّلاح الّذي بيد المشركين أكثر بكثير من عتاد المسلمين، فالله ﷻ يعطي دليلاً بما جرى في تلك الواقعة التي فرّقت بين الحقّ والباطل:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: ومعنى الآية هنا الأمر العجيب.

﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: القتال في سبيل الله حدّد رسول الله معناه، وهو الدّفاع عن العرض والأهل والمال والوطن من الاعتداء.

﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾: تتمّة الجملة يجب أن تكون: (وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الشّيطان) لكن حُذفت هنا وهذا في اللّغة يسمّى احتباك، وهو أن لا تذكر في الثّانية ضدّ ما ذكر في الأولى، ولكنّها تُفهم من السّياق، والفئة التي كانت من مشركي قريش والتي تقاتل رسول الله ﷺ، طبعاً هي

تقاتل في سبيل الشّيطان.

﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾: مَن الّذي يرى الثّاني مثليهم رأي العين؟ فئة المؤمنين أم فئة المشركين؟ هؤلاء ثلاث مئة أمّا هؤلاء فألف، نحن نعلم أنّ الله ﷻ عندما تحدّث عن معركة بدر قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال]، فالّذي يرى الآخر هنا تنطبق على الطّرفين، فالمشركون عندما نظروا إلى المسلمين رأوهم رأي العين ضعفين أدخل الله ﷻ المهابة منهم في قلوبهم، وأمّا بالنّسبة للمؤمنين فإنّهم أيضاً رأوهم رأي العين ضعف الألف، أي أكثر من عددهم حتّى يبادروا بالشّجاعة والإقدام لقتالهم أكثر، فإذاً الله ﷻ هنا لم يبيّن مَن هم الّذين ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾.

﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾: وهي بشارة إلى أنّ نصر الله ﷻ آتٍ لا محالة، وهنا بيّن الله ﷻ طلاقة مشيئته وقدرته، لكنّ الله ﷻ حدّد في آيات أخرى من الّذي يستحقّ أن ينصره الله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ [الحجّ: من الآية ٤٠]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الرّوم: من الآية ٤٧].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾: العبرة من العبور، وهو الانتقال من مكان إلى مكان، والعَبرة هي الدّمعة، سمّيت بذلك لانتقالها من العين إلى الخدّ، وعبير هي رائحة الورد، سمّيت بذلك؛ لأنّها تنتقل من الورد إلى الإنسان، والعبارة تنتقل من اللّسان إلى السّمع.

والعبرة هنا المقصود بها الدّرس، ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: من الآية ٢]، أي انتقلوا من قناعة إلى قناعة؛ لأنّ الفئة الكافرة معها أسباب النّصر وهي العدد والعتاد والعدّة، أمّا الفئة المؤمنة فهي الأقلّ عدداً وعتاداً، فانتصارها مخالف للأسباب، فهذا فيه عبرة، أي انتقال من الاعتماد على الأسباب إلى الارتقاء للمسبِّب.

﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: البصر هو رأي العين، أمّا البصيرة فهي القلب والعقل، قال ﷻ هنا: ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾، وليس (لأولي البصائر)؛ لأنّه كان يتحدّث عن أمر مرئيّ حدث أمامهم، وهو أنّ الفئة القليلة غلبت الفئة الكثيرة بإذن الله ﷻ.

(الآية ١٤) – ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾:

عندما يضلّ الإنسان فإنّ ذلك يكون نتيجة اتّباع الهوى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: من الآية ٢٣]، ولكلّ هوى مفتاح، فيجب أن نعلم ما هي مفاتيح الهوى.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾: زُيّن مبني للمجهول، لم يبيّن الله ﷻ من الّذي زيّن.

﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: هناك شهوات مركوزة في الإنسان، هذه الشّهوات هي ميل النّفس لفعل معيّن بقوّة. فالشّهوة الجنسيّة لاستبقاء النّوع، وهذا مركوز في الإنسان، لا يستطيع أحد إنكارها، كذلك حبّ الأولاد وحبّ

المال.. كلّها أمور مركوزة في فطرة الإنسان التي فطر النّاس عليها، طالما هذه الشّهوات موضوعة في الإنسان فقد وضع الله ﷻ مصارف لها، فمن وضعها في مصارفها التي أحلّها الله، فيكون الّذي زيّن هو الله ﷻ، ومن وضعها في غير ما أحلّ الله وتعدّى فيكون الشّيطان هو الّذي زيّن، فالله ﷻ شرع الزّواج لصرف الشّهوة الجنسيّة، وهذا طريق الحلال، قال عليه الصّلاة والسّلام: «**الدّنيا متاع، وخير متاع الدّنيا المرأة الصّالحة**»[1]، أمّا إن وضعها في الحرام كمن يزني ويعتدي على أعراض الآخرين، فالشّيطان زيّن له.

﴿وَٱلْبَنِينَ﴾: لم يقل: الأولاد، إنّما قال: البنين، وهم الأولاد الذّكور، وهذا وصف لحالة سارية وليس تفضيلاً للذّكر على الأنثى، بدليل أنّ الله عندما تحدّث عن كلّ الالتزامات والواجبات الإيمانيّة ساوى بين الذّكر والأنثى، لكن هذا التّفضيل هنا هو من شهوة الإنسان، فإنّنا نرى أنّ الّذي رُزِق ببنات يتمنّى أن يولد له ولد ذكر؛ لأنّه يعتقد أنّ استبقاء النّسل والذّريّة هي بالذّكر؛ لأنّ الأنثى ستلحق بزوجها.

لماذا قدّم النّساء على البنين؟ لأنّ الشّهوة الجنسيّة هي شهوة مستعرة أكثر؛ لذلك قُدِّمت النّساء، وأصل الأولاد النّساء.

﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾: ما زال الذّهب والفضّة أساس النّقد العالميّ حتّى هذه اللّحظة، الذّهب هو أساس العملة.

القنطار: هو وزن، مثل حقيبة يوضع فيها الذّهب.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الرّضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، الحديث رقم (١٤٦٧).

المقنطرة: شدّة التّأكيد على القنطار وأنّه مليء بالذّهب.

﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾: الخيل المسوّمة أي المعلّمة، والمقصود إمّا أنّها تأكل أكلاً معيّناً، أو مروّضة، أو أنّ لها لون معيّن. وما زال حبّ الخيل حتّى هذه اللّحظة، أضف إلى ذلك أنّها رمز القوّة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال: من الآية ٦٠]، وهذا ليس قديماً فقط، حتّى أيّامنا هذه فإنّ قوّة محرّك المركبة تُقاس بالأحصنة، كي ترى دقّة الأداء القرآنيّ فالحصان يدلّ على القوّة، ولا يستطيع أحد أن يقول: لقد انتهى وقتها.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: هي ما يأكله الإنسان، وهي تعدُّ ثروةٌ حيوانيّةٌ.

﴿وَٱلۡحَرۡثِ﴾: تعني تثير الأرض؛ لتهيّئها للزّراعة، والمقصود بها الثّروة الزّراعيّة.

﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: والمتاع عَرض زائل، وهذه كلمة أطلقها القرآن الكريم على الدّنيا: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرّعد: من الآية ٢٦]، الآخرة هي مقابل الدّنيا، لكن لماذا تسمّى الدّنيا دنيا، والآخرة التي هي مُقابلتها لا تُسمّى العُليا؟ لأنّ فيها جهنّم التي هي أحطّ من الدّنيا. فما زُيّن للنّاس كلّه من متاع الحياة الدّنيا، هو عَرَض زائل؛ لذلك يقول النّبيّ ﷺ: «**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**»[1]،

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب قول النّبيّ ﷺ: «**كن في الدّنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل**»، الحديث رقم (٦٠٥٣).

والمعروف أنّ الغريب أو عابر السّبيل لا يتعلّق بالمكان ولا بموجودات المكان؛ لأنّه غريب عن هذا المكان وسيعود إلى أهله وأصله.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ﴾: مآب: تعني الرّجوع، وحسن المآب يكون لمن اتّبع أوامر الله ﷻ.

والموت واقع بكلّ إنسان ولا يستطع أحد أن يتأبّى على الموت، ورغم كلّ التّقدّم العلميّ وكلّ المكتشفات والمخترعات لم يستطع أحد أن يُبقي إنساناً على قيد الحياة لحظة واحدة إذا جاء أجله، لكنّ المشكلة هي في الخوف من الموت، فهو أمر ملازم للإنسان في كلّ حياته، فإذاً حُسن المآب أين هو؟ الله ﷻ يقول: ﴿وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨﴾ [آل عمران]، هذا ليبعث الاطمئنان بالإنسان أنّه سينتقل لعند أرحم الرّاحمين، هناك أحد الشّعراء كان له ولد وحيد فتوفيّ، فحزن عليه حزناً شديداً وأنشد أبياتاً طويلة تعتبر من أجمل ما قيل في الشّعر العربيّ، بعد فترة من حياته توفّي هذا الشّاعر فشاهده أحد النّاس في المنام فقال له: ما فُعل بك؟ قال: رحمني ربّي ببيت من الشّعر قلته، هو:

جاورتُ أعدائي وجاورَ[1] ربّه شــتّان بين جواره وجواري

فرحمه الله ﷻ بهذا البيت من الشّعر، إذاً حُسن المآب عند الله، فعلينا ألّا نخشى من الموت، ولكن يجب أن نخشى من عملنا، من نقص عدّتنا وزادنا، قال ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِي

(١) يريد نعي ابنه.

﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: من الآية ١٩٧]، فمن تزوّد لا يخاف؛ لأنّ الزّاد معه وهو بين يديّ أرحم الرّاحمين.

(الآية ١٥) – ﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾:

﴿*قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ﴾: ما الفرق بين النّبأ والخبر؟

الخبر إخبار بأمر عاديّ، أمّا النّبأ هو أمر عظيم ستُخبر به.

﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾: هذا استفهام توكيديّ، هنا الله ﷻ أعطى صورة عن الآخرة، وبيّن ما هو الأفضل من كلّ هذه الشّهوات.

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: لماذا قال الّذين اتّقوا؟ لأنّ القضيّة ليست قضيّة أقوال وشعارات وخطابات، بل هي أعمال، قال ﷻ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم]، وجاء في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي، إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثمّ أوفّيكم إيّاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلّا نفسه**»[1]، فالإسلام هو قول وعمل، هو استسلام لأوامر الله ﷻ وطاعة له، والتّقوى هي تمحيص حقيقيّ، وهي جوامع كلّ الخير، فإذاً هذه العوامل لا يمكن أن تتحقّق بشعارات، فهي لا تتحقّق إلّا بالعمل، لكن عبارة التّقوى من أين أتت؟ التّقوى هي أن تجعل بينك وبين الشّيء حاجزاً، يعني

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

أن تتّقي النّار، فما هو الحاجز الّذي يقيك من النّار؟ هو الخوف من الجليل، والعمل بالتّنزيل، والرّضى بالقليل، والاستعداد ليوم الرّحيل.

وأن تكون الحسنات أكثر من السّيّئات، وتؤدّي المقصد الشّرعيّ منها حتّى لا تنقلب إلى ضدّها كما قال النّبيّ ﷺ: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً**»(١).

﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ﴾: عندما يتحدّث المولى عن أمور غيبيّة، كوصف الجنّة، نؤمن بها وإن لم نعرف ماهيّتَها، ولكن بمجرّد أن تخرج الرّوح من الجسد فإنّ الإنسان يُزوّد بقدرة على إدراك هذه الأمور لم يكن يملكها في حياته، والدّليل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ [ق]، أصبح يرى ما لم يكن يراه، فالجنّة علمها عند الله ونحن نؤمن بها كما وردت، ونكل علمها إلى يوم القيامة.

﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنّة: يا أهل الجنّة، فيقولون: لبّيك ربّنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربّ، وأيّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحلّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده**

---

(١) مجمع الزّوائد: كتاب الصّلاة، باب فيمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء، الحديث رقم (٣٥٥٧).

أبداً»[1]، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التّوبة: من الآية ٧٢]، أكبر من ماذا؟ أكبر من كلّ ما في الجنان، ومن كلّ عطاءات الآخرة هو أن يرضى الله ﷻ عنّا.

وقال بعض العلماء: الرّضوان من الله ﷻ أن ترى وجهه الكريم.

(الآية ١٦) - ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾:

هذه الآية والتي تليها تبيّن من هم الّذين اتّقوا والّذين لهم جنّات ورضوان من الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾: إنّ الدّخول في مرضات الله لا يكون إلّا من باب الإيمان بالله ﷻ، فالّذي آمن أوّل دعاء له يطلب من الله المغفرة، وهذا رقيّ في السّلوك، وهنا نرى دقّة الأداء القرآنيّ، فالله ﷻ يعلم النّفس البشريّة وأنّ الإنسان ليس فيه كمال، وأنّ الكمال لربّ الإنسان، فالإنسان حتّى إذا آمن فإنّه تعتريه في بعض الأحيان نقاط ضعف، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النّساء: من الآية ٢٨]، فعندما يؤمن الإنسان بالله ﷻ عليه أوّلاً أن يُحصّن نفسه ويطلب من الله المغفرة؛ لأنّه يعلم مسبقاً أنّه سيبقى مقصّراً ولو أدّى كلّ الحقوق أو الواجبات التي أمره الله ﷻ بها؛ لذلك قام النّبيّ ﷺ حتّى تورّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[2]، إذاً شكر

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب صفة الجنّة والنّار، الحديث رقم (٦١٨٣).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، باب سورة (الفتح)، الحديث رقم (٤٥٥٦).

النّعم هي جزء من الإيمان بالله، فإذا كانت جزءاً من الإيمان بالله فهل نستطيع أن نشكر المنعم بقدر ما أنعم؟ الجواب: لا، إذاً نحن مقصّرون فعلينا أن نستغفر.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: وهو طلب آخر من الله ﷻ؛ لأنّه حتّى لو غفر الله ﷻ لك ذنوبك، فلا شيء يُلزمه أن يُدخلك الجنّة ويقيك من عذاب النّار، وهو عادل وحكيم.

(الآية ١٧) - ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾:

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: الدّليل على الإيمان بالله ﷻ يكون بالسّلوكيّات، مثل: الصّلاة والصّيام وأداء الزّكاة والحجّ والعمرة... لكن السّلوك الأوّل هو الصّبر، قال ﷻ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: من الآية ٤٥]، فقدّم الصّبر على الصّلاة، وقال ﷺ: «**الصّبر نصف الإيمان**»(١)؛ لأنّ المؤمن إن لم يكن صابراً فهو رافض لقضاء الله ﷻ، وجاحد لإرادته ومشيئته ﷻ.

والصّبر أنواع: ١- صبرٌ عن المعصية.

٢- وصبرٌ على الطّاعة.

٣- وصبرٌ على النّوازل.

وما منّا إلّا ويُصاب؛ لأنّه من عالم أغيار، قال ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

(١) مسند الشّهاب: الصّبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كلّه، الحديث رقم (١٥٨).

[البقرة]، لم يقل: (وبشّر المصلّين)، بل قال: الصّابرين؛ لأنّ الصّبر دليل على أنّ الصّلاة قد أدّت الوظيفة التي أرادها الله ﷻ منها، فالصّلاة تؤدّي إلى سلوك، وهو أن تصبر على ما أصابك، وتصبر على ما أُمرت به، وتصبر على طاعة الله ﷻ؛ لذلك جاءت أوّلاً كلمة ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في هذه الآية.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾: وقضيّة الصّدق قضيّة هامّة، فكما قال ﷺ: «**إنّ الصّدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنّة، وإنّ الرّجل ليصدق حتّى يكون صدّيقاً، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النّار، وإنّ الرّجل ليكذب حتّى يكتب عند الله كذّاباً**»[1]، إذاً الصّدق بالنّسبة للمؤمن هو علامة من علامات الإيمان، قال أبو الدّرداء رضي الله عنه: يا رسول الله، هل يسرق المؤمن؟ قال: «**قد يكون ذلك**»، قال: فهل يزني المؤمن؟ قال: «**بلى، وإن كره أبو الدّرداء**»، قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: «**إنّما يفتري الكذب من لا يؤمن، إنّ العبد يزلّ الزلّة ثمّ يرجع إلى ربّه فيتوب، فيتوب الله عليه**»[2].

إذاً الصّدق هو شعار وعنوان للمؤمن، والصّدق هو أن تناسب النّسبة الكلاميّة للواقعة التي تحدث، يعني أنت عندما تتحدّث، تُخبر بما جرى حقيقة ولا تكذب.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة]، الحديث رقم (٥٧٤٣).

(٢) كنز العمّال: ج٣، ص ٨٧٤، الحديث رقم (٨٩٩٤).

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: ما هو القنوت؟ هو الاستمرار والمداومة في الطّاعة بخشوع، أي بحضور القلب، قال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون]، والمقصود بحضور القلب أن تؤدّي العبادة التي يقوم بها المؤمن وظيفتها في أعضاء الجسم فتتحوّل إلى سلوك، فإن كان خاشعاً قانتاً بعبادته فإنّ جوارحه تتأثر بالخشية من الله ﷻ ومن تقوى الله تبارك وتعالى.

﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: النّفقة في سبيل الله لها أنواع: إمّا أن تكون زكاة، وإمّا أن تكون صدقة. يقول النّبيّ ﷺ: «**الصّدقة برهان**»(١)، برهان على ماذا؟ على صحّة الإيمان، إذاً الإنفاق في سبيل الله هو دليل بأنّك عندما تخرج من مالك للفقير والمحتاج والمسكين واليتيم، ولمصارف الزّكاة عموماً، من تعبك ومن عرقك فإنّك تخرج هذا المال لمرضاة ربّك، فأنت تتعامل مع الله ﷻ، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۗ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ [البقرة]، أنت تتعامل مع الله فيما تعتقد أنّك تملكه، لكنّ الحقيقة أنّ ما تملكه هو ضمن ملكيّة الله ﷻ، فإذاً هذا دليل أيضاً على الخشوع في الأداء، وهو أن ينفق النّفقة وهو لا يريد رياءً ولا جزاءً ولا شكوراً من الخلق.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾: قال النّبيّ ﷺ: «**فإذا مضى ثلث اللّيل أو نصف اللّيل نزل إلى السّماء الدّنيا جلّ وعزّ فقال: هل من**

---

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ج١١، ص ١٢٦، الحديث رقم (١٧٧٣٨).

سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، هل من داع فأجيبه»[1]، إذاً هناك تجليّات في وقت السّحر، عندما يكون النّاس نيام، في هذه الأوقات تتنزّل رحمات الله ﷻ.

(الآية ١٨) – ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾:

هناك ثلاث شهادات:

– أوّل شهادة: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فهو الّذي خلق السّماوات والأرض، وهو الّذي يملك أمر الحياة والموت، وهو الّذي أجرى الأنهار والبحار.. فهل وُجد إله آخر نازعه ملكيّتها؟ حتّى هذه اللّحظة لم يوجد ولن يوجد، فإذاً هي ملكه. هذه الشّهادة هي شهادة الذّات للذّات، شهادة الله ﷻ بأنّه لا إله إلّا هو، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النّساء: ٧٩].

– ثاني شهادة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ هذه شهادة المشهد، قال ﷻ للملائكة: كونوا طائعين، فكانوا طائعين.

– ثالث شهادة: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾، هذه شهادة الدّليل، قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران]، إذاً فأنت تشهد أنّه لا إله إلّا الله بالأدلّة التي خلقها ﷻ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يس]،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (٩٥٨٩).

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧﴾ [يس]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ٤١ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ٤٢﴾ [يس]، هناك كثير من الآيات البيّنات في الكون والشّمس والقمر والأنهار، وفي أنفسكم وفي الحياة والموت... نستدلّ بها على وحدانيّة الخالق جلّ وعلا.

وفي كلّ شيءٍ له آية تدلُّ على أنّه واحد

هذه الآية من أعظم الآيات التي ترفع مقام العلماء بعد مصافّ الملائكة والأنبياء لماذا؟ لأنّه بالعلم تستدلّ على وجود الله، فدين الإسلام هو دين العلم، لا يقبل بالجهل ولا بالتّخلف، ولا يرضى إلّا أن يكون في مقدّمة ركب الإنسانيّة، مع أنّنا أصبحنا في ذيل قائمة الإنسانيّة، وعصر الانحطاط الّذي طال أمده.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾: القسط: العدل.

لماذا لم يقل: (القائمين بالقسط)؟

لأنّ الله ﷻ قائم بالقسط، لا يحتاج إلى شهادة الملائكة والعلماء أنّه قائم بالقسط، لكنّك تحتاج إلى شهادة استدلال على وجوده، والملائكة تحتاج إلى شهادة شهود على وجوده، لكنّه الوحيد الّذي يشهد على ذاته أنّه قائم بالقسط.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: من صفاته أنّه العزيز والحكيم، هو قائم بالقسط لكنّه عزيز، فهو ﷻ مستغنٍ عن عبادة خلقه، وضع الأشياء بنصابها بحكمة.

(الآية ١٩) - ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾:

(دان): تعني خضع.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾: في كلّ الأديان أتباع الرّسل اسمهم مسلمون: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس]، ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص]، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة]، ﴿* فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

كلمة الإسلام تعني الخضوع والاستسلام لأمر الله، فكلّ الأديان اسمها (إسلام)، لكن هذا الاسم أصبح عَلَماً على الدّين الخاتَم فصار الإسلام يُطلَق على الدّين الّذي جاء به محمّد رسول الله ﷺ؛ لأنّه خاتَم الرّسل، وإلّا لما أصبح الإسلام عَلَماً على هذا الدّين وهذه الشّريعة.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ﴾: هذه الآيات نزلت في اليهود الّذين أوتوا الكتاب، فرغم أنّهم كانوا

يبشّرون بظهور النّبيّ إلّا أنّهم أصبحوا يشكّكون ويرفضون الإيمان بما جاء به بغياً بينهم، والبغي هو تجاوز الحقّ.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: من يجحد ويستر آيات الله البيّنات، فإنّ الله سريع الحساب في الدّنيا والآخرة، وهذه السّرعة هي حسب مقياس ربّ العالمين، فعمر الإنسان والكون لا يُساوي شيئاً؛ لذلك قد نرى أنّ الحساب ما زال بعيداً، فنعيش ونحن نعصي ونستبعد العقاب، ولكنّ الزّمن مخلوق من مخلوقات الله، يُقاس حسب مقاييس الله، وليس حسب مقاييسنا: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج].

(الآية ٢٠) – ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾:

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: حاجّوك أصلها حاججوك، وهذا دليل على أنّ الدّين الإسلاميّ إنّما جاء بالحجّة والبرهان والدّليل والإقناع، وقد كان النّبيّ عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم يقدّم الحجج ويناظر اليهود في ذلك الوقت، إذ كانوا أكثر النّاس إلحاحاً وجدلاً، وكما وصفهم عبد الله بن سلام، الّذي كان حبراً من أحبارهم ثمّ أسلم، فقال للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام: (إنّ اليهود قوم بهت)[1].

﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾: أي بعد أن قدّمت الدّليل والبرهان

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، باب سورة (البقرة)، الحديث رقم (٤٢١٠).

فأنكروه بغياً منهم وقاموا بتحريف ما عندهم من علم، فقل أسلمت وجهي لله، والوجه هو أشرف أعضاء الجسم، وهو يعبّر عن إقبال الإنسان على الشّيء.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ﴾: إذاً لستُ فقط أنا الّذي أسلمت، ولكنّ الّذين اتّبعوني أسلموا أيضاً، أي أطاعوا الله واستسلموا لأوامره ﷻ.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۖ﴾: الأمّيّين المقصود بهم العرب في شبه الجزيرة العربيّة، وأهل الكتاب هم اليهود والنّصارى، لكن اليهود كانوا أكثر من النّصارى في الجزيرة العربيّة.

﴿فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾: هذا ديننا فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن لم يسلموا فعليك البلاغ فقط: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢﴾ [الغاشية]، وهذه الآية تدلّ على حريّة الاعتقاد، كما قال ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩].

﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾: الله ﷻ بصير عليم خبير، يرى ما يفعلون، ويعلم ما يقولون.

(الآية ٢١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾:

الحديث هنا عن اليهود، وقد قتلوا أكثر من أربعين، وقيل مئة وسبعين نبيّاً، وقد كفروا بما أنزل الله في التّوراة من صفات سيّدنا رسول الله ﷺ.

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾: المولى ﷻ عندما يتحدّث عن القتل، حتّى فيما يتعلّق بالأنبياء، يربطه بعبارة: (بغير حقّ)، مع أنّ قتل الأنبياء لا يمكن أن يكون بحقّ أبداً، لكنّ الله ﷻ يؤكّد هذه العبارة حتّى لا يكون القتل مقبولاً في أيّ مجتمع من المجتمعات.

﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يقتلونهم؛ لأنّهم يأمرون بالقسط وهو العدل.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فأنذر هؤلاء القَتَلة بعذاب أليم.

(الآية ٢٢) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢﴾:

كلّ الأعمال التي يقومون بها لا قيمة لها ولا وزن، ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان]؛ لأنّ هذه الأعمال لا تعبّر على الإيمان؛ ولأنّهم حرّفوا ما أنزل الله، وكفروا بآياته، فحبطت أعمالهم ولم تعط ثمارها لا في الدّنيا ولا في الآخرة.

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: فالله ﷻ هو خصمهم، فلا ناصر لهم من أمر الله ﷻ.

(الآية ٢٣) - ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣﴾:

﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: وفي هذا توجيه إلهيّ عظيم لنبيّه ﷺ، يقول له: إذا أخبرك الله بأمر، فليكن إخباره أوثق من رؤية عينيك.

﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: ما زال الحديث عن اليهود، ولكن لِمَ قال: نصيباً من الكتاب؟ لأنّ الكتاب الّذي معهم محرّفٌ، لكن لا يزال جزءٌ منه غير محرّفٍ.

(الآية ٢٤) - ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ﴾: اليهود الّذين يقولون: نحن شعب الله المختار، ولن يمسّنا العذاب يوم القيامة إلّا أيّاماً قلائل.

﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾: الغرور: هو الطّمع فيما لا حقّ لك فيه؛ لذلك يُسمّى الشّيطان الغَرور؛ لأنّه يطمّع الإنسان بما لا يستحقّه، إذاً هم يطمعون بما لا يستحقّون، وهذا افتراء وكذب على الله ﷻ، وهو تحريف التّوراة.

(الآية ٢٥) - ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٥﴾:

جمعناهم ليوم الحشر، ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشّعراء]، إذاً هذا اليوم الّذي هو يوم الدّين، يوم الحساب، هو اليوم الّذي تُفضح وتُنشر فيه الأعمال، ولا تُظلم نفس شيئاً، ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء].

(الآية ٢٦) - ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾:

﴿قُلِ﴾: نقل رسول الله ﷺ القرآن بحرفيّته، ولم يحذف منه شيء، وهذا من إعجاز كتاب الله، ومن دقّة وصدق تبليغ سيّدنا رسول الله ﷺ.

هناك مِلك ومُلك وملكوت، أمّا الملكوت فهو عالم الغيب، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥﴾ [الأنعام].

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾: يوجد مالك ويوجد مَلِك، المالك الّذي يملك الشّيء الشّخصيّ أو الفرديّ، أمّا الملك فهو يملك من يملك، يعني الّذي يملك البلاد يُسمّى ملكاً، أمّا المالك فهو مالك السّيّارة أو الثّوب.. لذلك في سورة (الفاتحة) يوجد قراءتان لكلمة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة]، فتقرأ: (مالك يوم الدّين)، وتُقرأ: (ملك يوم الدين)؛ لأنّ الملكيّة الحصريّة ليوم الدّين هي لله، لا يستطيع أحدٌ أن يدّعي ملكيّتها؛ لذلك قال: مالك.

الله ﷻ هو الّذي يملك الكلّ، فهو الملك المتصرّف بكلّ المخلوقات.

﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾: فالإنسان يكون ملكاً بالأسباب الموجودة في الدّنيا، لكن كلمة ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ تعطيك دلالة على أنّه من يكون مَلِكاً لا يمكن أن يترك الملك إلّا بالقسر والشّدّة، فالنّزع هو القلع بشدّة.

﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾: الخير أنّك تعزّ من تشاء، وتؤتي الملك من تشاء،

لكن هل نزع الملك والذّلّ هو خير؟ إنّ كلّ شيء من عند الله هو خير، وإن ظهر لك أنّه شرّ، فربّما تكون في ثنايا النّقمة نعمة لا تعلمها أنت، ولكن يعلمها الله ﷻ، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: من الآية ٢١٦].

(الآية ٢٧) – ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾:

أراد الله ﷻ أن يبيّن للنّاس أنّ المُلك ونزع المُلك، والعزّ والذّلّ بيده، ودلّل على ذلك بأمور كونيّة، فجاء بثلاثة أمور:

١- إيلاج اللّيل بالنّهار، والوليجة البطانة، والمقصود دخول اللّيل بالنّهار ودخول النّهار باللّيل، وهو أمر مشاهد في كلّ يوم.

٢- وإخراج الحيّ من الميّت وإخراج الميّت من الحيّ، هو أمر معلوم ومشاهد للنّاس؛ لأنّهم يرون الموت في كلّ لحظة ويرون الولادة في كلّ لحظة.

٣- أمّا الرّزق فإنّ النّاس يعيشون بأسباب الرّزق، والله ﷻ يرزق النّاس جميعاً بغير حساب.

(الآية ٢٨) – ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾:

طالما أنّه ﷻ هو الّذي يعزّ، وهو الّذي يذلّ، وهو الّذي بيده المُلك، وهو الّذي يحيي، وهو الّذي يميت، وهو الّذي يرزق بغير حساب، إذاً لا

تتّخذوا أولياء إلّا المؤمنين، وكلمة وليّ إمّا أن تأتي بمعنى مُعان، وإمّا أن تأتي بمعنى مُعين، فإذا نُسبت لله ﷻ فهو المُعين، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: من الآية ٢٥٧]، وإذا نُسبت للنّاس فهم المُعانون، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾: إلّا من خاف من شرّهم وتحت الضّغط، فله أن يتّقيهم بظاهره لا بباطنه ونيّته.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾: حتّى لا يتّخذ الإنسان هذا الأمر شعاراً فالله ﷻ يحذّر الإنسان أنّه يجب أن يكون صادقاً حتّى في حال الضّغط، ويأخذ بالرّخصة التي أُعطيت من الله ﷻ ليتّقي هذا الشّرّ، وأن يكون قلبه معلّقاً بالله، وليس للتّهرّب من الأحكام أو من أوامر الله ﷻ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المصير والمآل والنّهاية إلى الله ﷻ، فمهما كانت الصّعوبات والمصائب التي يتعرّض لها الإنسان، فإنّ المرجع إلى الله، والثّواب والعقاب بيده ﷻ.

(الآية ٢٩) – ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾:

الله ﷻ يعلم السّرّ وأخفى وهو يعلم الجهر أيضاً، فلا تعتقد أنّ الله غيب فلا يعلم إلّا الغيب، إنّما هو يعلم الغيب ويعلم ما تبدي النّفوس وما تُظهر، ولكلّ النّاس مجتمعين.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: والله ﷻ لا يقتصر علمه على ما

تبدي وما تخفي أيّها الإنسان، فكلّ ما في السّماوات والأرض محاط بعلمه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾: فهناك طلاقة قدرة لله ﷻ، وهو قادر على كلّ شيء، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس].

هذه الآيات هي تربية إيمانيّة، وتدريب إيمانيّ للنّاس، ليعلم الإنسان أنّه سيجد في هذه الحياة مصاعب، وأنّ الله ﷻ لا يريد العنت، ولا يريد الإكراه للنّاس، ولكنّه أيضاً يعلم النّوايا، فالنّيّة الطّاهرة تؤدّي إلى العمل الطّاهر، ومع ذلك فإنّ الله لا يكلّف الإنسان إلّا ما في وسعه، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦].

(الآية ٣٠) – ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾:

هذا اليوم هو يوم القيامة، وهو اليوم الّذي يجمع الله فيه الخلائق للحساب والجزاء، فلا تستغرب أنّ كلّ نفس ستجد ما عملت من خير محضراً، فلقد وصلت التّقنيّة العلميّة بين النّاس إلى أنّهم يصوّرون كلّ الأحداث، فهناك آلات تصوير للرّقابة تعرض شريطاً كاملاً عن الأحداث التي جرت على مدى ٢٤ ساعة، صحيح أنّه في ذلك الوقت عند نزول القرآن الكريم لم يكن يتصوّر الإنسان هذا الأمر، لكن هناك ألطاف إلهيّة حتّى في التّنزيل، فكلمات القرآن الكريم تستوعب كلّ الأجيال وكلّ العطاءات والحضارات والعلم حتّى يرث الله الأرض ومن عليها، فهذه

الكلمات وقت النّزول مفهومة، وبعد مرور ألف عام، وعشرة آلاف عام مع تطوّر العلم تجد بياناً في هذه الكلمات لم يُلحظ في الوقت السّابق؛ لأنّ العلم لم يكن قد تطوّر، أمّا الآن عندما أقول: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾، فإذا استطاعت الكاميرات عرض شريط حياة الإنسان أربعاً وعشرين ساعة في هذا المبنى، فليس هناك مشكلة ولا صعوبة بأنّ يرينا الله يوم القيامة شريط الحياة التي عشناها في هذه الدّنيا.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾: أمّا ما عملت من سوء فأتى الله ﷻ على صفة النّفس في ذلك الوقت، أمّا بالنّسبة للخير فلم يأت على صفة النّفس؛ لأنّها أصبحت في رحمات الله ﷻ، وفي جنان الخلد، فكما قال الشّاعر:

من يفعل الخير لا يُعدم جوازيه لا يذهب العُرف بين الله والنّاس

فإذا رأى الإنسان في هذا الشّريط سوءاً، ورأى الآثام والمعاصي والسّلبيّات التي ارتكبها في هذه الحياة، فإنّه يتمنّى لو أنّ بينه وبينها أمداً ووقتاً بعيداً.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾: انظروا للّطف الإلهيّ مع التّحذير، فالله ﷻ عندما يرينا لقطة من لقطات يوم القيامة ويحذّرنا، فإنّه يقول بعدها: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ما أجمل هذا التّعبير وهذه الكلمات وهذه الصّفات برأفة الله ﷻ بعباده، فالله ﷻ كما أخبر عن نفسه: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٦].

(الآية ٣١) – ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾:

هنا مشكلة كبيرة يجب أن نقف عندها، وهي فصل القرآن الكريم عن سنّة النّبيّ ﷺ، وقد حذّر النّبيّ من ذلك، فيقول بعض النّاس: لا نعمل إلّا بما في القرآن الكريم، فإنّ السّنّة النّبويّة جاءت في القرن السّابع الميلاديّ وفي شبه الجزيرة العربيّة، وهي لا تناسب العصر، ويكفينا القرآن، فهذا القول مردودٌ عليهم، فالنّبيّ ليس ساعي بريد جاء بالرّسالة وانتهى، وهذه الآية تعطي الجواب لكلّ أولئك الّذين يطرحون قضيّة فصل القرآن الكريم عن السنّة النّبويّة، والقرآن الكريم كما تعلمون جميعاً حمّال أوجه، جاء بآيات محكمة وأُخر متشابهات، فقال سبحانه وتعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النّحل: من الآية ٤٤]، إذاً تأتي المذكّرة التّفصيليّة من سيّدنا رسول الله، فالنّاس يقولون: نحبّ الله، نقول لهم: هناك دليل على المحبّة: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾: إذاً المطلوب اتّباع النّبيّ ﷺ، لكنّنا حوّلنا الاتّباع إلى استماع فقط دون تطبيق؛ لذلك قال الله سبحانه وتعالى في سورة (الأحزاب): ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾: الحبّ: هو ودادة القلب، وودادة القلب لله سبحانه وتعالى لا تكون إلّا عن طريق سيّدنا رسول الله ﷺ.

﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾: أي سيروا على نهجي وعلى سنّتي وعلى سلوكي وعلى

أخلاقي هذا هو الدّين، فليس الدّين أقوالاً تُصاغ ولا شعاراتٍ تُرفَع، ولا عمائم ولا لحى، وإنّما هو أعمال، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّجم]، فالتّمسّك بالمحبّة والاتّباع والاقتداء بهدي رسول الله هو الدّين، والدّليل على ذلك هذه الآية الكريمة.

﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾: ليس المهمّ أن تحبّ الله، لكنّ المهمّ أن يحبّك الله، هذه قضيّة هامّة، فعندما يحبّني الله ﷻ ماذا يكون الجواب؟ الجواب: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: في القوانين الوضعيّة يقول لك: إنّ هذا القانون له أثر رجعيّ، ومحبّة الله ﷻ لنا لها أثر رجعيّ، يغفر كلّ الذّنوب السّابقة، ولو تتبّعنا كتاب الله لوجدنا أنّ الله ﷻ في كلّ أوامره التي يعطيها للنّاس يكون في نهايتها غالباً: (والله غفور رحيم)، فالله ﷻ عندما كلّف الإنسان علم أنّ بطبعه التّقصير؛ ولذلك الله يغفر الذّنوب حتّى لو أنّك عبدت الله كلّ هذه الحياة فأنت مقصّر؛ لأنّك لن تستطيع أن تعبد الله بقدر نعمه عليك، فإذاً هو ذنب يحتاج إلى مغفرة الله ﷻ ورحمته، ونِعَم الله متعدّدة، فهناك:

- نعمة الإيجاد: فقد أوجدك من العدم.
- ونعمة الإمداد: أمدّك بكلّ هذه النّعم.
- ونعمة التّكليف.

فلماذا تفصل نعمة الإيجاد والإمداد عن نعمة التّكليف؟ فالتّكليف لك ولصالحك، فعندما منعك من السّرقة فقد منع النّاس أن يسرقوك، وعندما منعك من الزّنى فقد منع النّاس أن يزنوا بمحارمك، وعندما منعك

من الرّشوة فقد منع النّاس أن يرتشوا منك، وعندما منعك من الكذب فقد منع النّاس أن يكذبوا عليك، وعندما منعك من القتل بغير حقّ فقد منع النّاس من أن يقتلوك بغير حقّ، فالتّكليف الإيمانيّ هو نعمة من الله ﷻ للإنسان، وليس عبئاً. حتّى العبادات فبالزّكاة حوّل المجتمع إلى مجتمع متكافل متضامن، أعطى الفقير من مال الله الّذي أوجبه في أموال الأغنياء، وأعطى الغنيّ بأن منع عنه حسد الفقراء وضاعف له في أمواله في الدّنيا وفي الآخرة، والصّيام ارتقاء روحيّ تحتاج إليه النّفس، وهكذا..

(الآية ٣٢) - ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾:

ورد في القرآن الكريم عبارات مختلفة عن طاعة الرّسول:

- فمرّة يقول: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ﴾، عطف طاعة الرّسول على طاعة الله ﷻ، فهي طاعة موحّدة لا تستطيع أن تجتزئها، فإنّ الرّسول يبيّن ما نزّل الله فهنا وحّد بواو العطف.

- ومرّة أخرى قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النّساء: من الآية ٥٩]، عندما فصل؛ لأنّ الرّسول ﷺ هو الوحيد المخوّل بالتّشريع، وعليك أن تطيع.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: فإن تولّوا ورفضوا وأداروا ظهورهم لهذه الطّاعة، فإنّ الله لا يحبّ الّذين يكفرون بنعمه ويجحدون وجوده ويكفرون بسيّدنا رسول الله ﷺ.

(الآية ٣٣) – ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾:

سمّيت سورة (آل عمران) لذكر آل عمران في هذه الآيات.

الآيات الكريمة الآن تتعلّق بالاصطفاء الإلهيّ للأنبياء عليهم السلام ولذريّة الأنبياء وللسّيّدة مريم عليها السّلام.

اصطفى: اختار، وقد ذكر هنا أربعة اصطفاءات:

١– آدم عليه السلام بدء الخليقة، اصطفاه الله سبحانه وتعالى بأن أسجد له الملائكة، وكرّمه بالعقل والعلم ومناط التّكليف.

٢– نوح عليه السلام، وهو الّذي قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾ [نوح: من الآية ٢٦]، فكان طوفان نوح الّذي أدّى إلى إغراق وإهلاك النّاس جميعاً إلّا من آمن معه، فكانت الذّريّات التي خرجت ممّن بقي مع نوح عليه السلام في السّفينة، إذاً هذا اصطفاء نوح.

٣– آل إبراهيم هم كلّ الأنبياء الّذين جاؤوا من سلالة إبراهيم عليه السلام، وسيّد الأنبياء رسول الله منهم، فسيّدنا إسماعيل وسيّدنا إسحاق وسيّدنا موسى وسيّدنا عيسى وسيّدنا يحيى وسيّدنا زكريّا وسيّدنا داود وسيّدنا يوسف وسيّدنا يعقوب عليهم السلام كلّ هؤلاء الأنبياء جاؤوا من ذريّة إبراهيم.

٤– آل عمران وهم من آل إبراهيم، لكنّه خصّص؛ لأنّ هناك معجزة ستحدث فيهم؛ لأنّه سيأتي منهم نبيّ من غير أب، وهذه الظّاهرة لم تحدث ولن تحدث لأحد، والله سبحانه وتعالى لا يذكر الأسماء إلّا مع السّيّدة مريم بنت عمران

عليها السّلام؛ لأنّ هذا الحدث هو حدث عظيم، وآية كبرى أجراها الله تعالى للسّيّدة مريم؛ فلذلك كان الاصطفاء، اصطفاء السّيّدة مريم من آل عمران لتكون محلّاً لهذه الآية والمعجزة، والتي هي ولادة السّيّد المسيح عليه السلام.

عندما نذكر آل عمران فأحياناً يحصل تشابه أنّ سيّدنا موسى ابن عمران والسيّدة مريم ابنة عمران، فهناك عمرانان، عمران والد موسى وعمران والد السّيّدة مريم، والمقصود هنا هو عمران والد السّيّدة مريم، لماذا؟ لأنّ الآيات التي جاءت بعدها تدلّ على ذلك مباشرة، ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ وكان الحديث المتتالي عن السّيّدة مريم عليها السّلام.

(الآية ٣٤) – ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾:

تناقل النّسل فيما يتعلّق بالأنبياء عليهم السلام هو قيم وليس بدن، الدّليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: من الآية ١٢٤]، كلّ هؤلاء الأنبياء الّذين ذُكروا من ذريّة سيّدنا إبراهيم عليه السلام لكنّ الله استثنى من ذريّته الظّالمين، فإن وُجد أحد من هذه الذّريّة لا يحمل القيم ذاتها فيُستثنى، هذا معنى ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ﴾.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: من عظمة القرآن الكريم أنّ الله سبحانه وتعالى عندما تحدّث عن الذّريّة تتوقّع بعدها أن يقول: (والله عليم حكيم)، لكن المفاجئ أنّه قال: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ والسّبب أنّه يتحدّث عن ذريّة الأنبياء، وقد دعا

سيّدنا إبراهيم وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾ [البقرة]، ودعا زكريّا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةٗۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ [آل عمران: من الآية ٣٨]، فإذاً هنا ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ فقد سمع دعاء إبراهيم وإسماعيل وزكريّا ودعاء الأنبياء الّذين دعوا للذّريّة، وهو عليم أين يجعل رسالته.

(الآية ٣٥) – ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾:

الآن نقلنا القرآن الكريم إلى جدّة السّيد المسيح عليه السلام، والدة السّيّدة مريم، وكأنّنا نسمع قولها:

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾: النّذر: هو أن يقوم الإنسان بعمل من جنس ما كُلّف به فوق العمل المفروض عليه، والنّذر يجب أن يكون بطاعة لله سبحانه وتعالى، فهي نذرت أن تجعل وليدها محرّراً، أي من غير قيد يقيّده في حركاته بأيّ أمر من أمور الدّنيا، لخدمة البيت المقدّس فقط، وكانت تتوقّع أن يكون ذكراً.

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: السّميع تعني المجيب، فهو مجيب الدّعاء.

(الآية ٣٦) – ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾:

﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾: إذاً هي وضعت أنثى لم تضع ذكراً.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾: فهي لا تخبر الله ﷻ، وإنّما تشتكي إلى الله بأنّها وضعت أنثى، وأنّها نذرت وليدها لخدمة البيت المقدّس فإذا هو أنثى.

﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾: من الّذي قال: ليس الذّكر كالأنثى؟ اختلف العلماء في ذلك: هل هي التي قالت: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ أم أنّ القائل هو الله تعالى، تصحّ هذه وتصحّ تلك، لكن لو أنّنا حلّلنا هذه الآية، فإن كان هذا قول والدة السّيّدة مريم لكانت قالت: (ليست الأنثى كالذّكر)؛ لأنّك تضرب بالمثل المشّهود فلا تقول: (ليس الذّكر كالأنثى)؛ لذلك على أرجح الأقوال أنّ الله ﷻ هو الّذي يقول: ﴿وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ﴾ لماذا؟ لأنّ هذه الأنثى أفضل من كلّ ذكور الأرض باستثناء الأنبياء، هذه الأنثى لن تكون لمجرّد خدمة شعائر، بل ستأتي بنبيّ من دون أب، فإذاً ليس الذّكر كالأنثى فأيّ ذكر سيأتي ليس كالأنثى التي أتت والتي هي السّيّدة مريم، هي كانت تريد ولداً لخدمة الشّعائر، لكنّ الله ﷻ جعلها لمساندة العقائد.

﴿وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ﴾: اسم مريم يعني عابدة، وأوّل من يعترض العبوديّة هو الشّيطان؛ لذلك قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ إذاً هي أعاذت مريم والمسيح عليه السلام من الشّيطان الرّجيم.

(الآية ٣٧) – ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٧﴾:

﴿رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ﴾: هذا النّذر الّذي نذرته قَبِله الله ﷻ برضا، هذا هو القبول الحسن.

﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: كيف يتمّ الإنبات؟ يتمّ أوّلاً بالسّقية المباركة وبالتّدريج، إذاً أنبتها الله ﷻ نباتاً حسناً من لدنه، فكانت رعاية السّيّدة مريم من دون أسباب، بل من المسبّب مباشرة.

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: هنا أوّل بروز لاسم زكريّا عليه السلام في القرآن الكريم، وهو أحد أنبياء بني إسرائيل، وهو زوج خالة السّيّدة مريم، فهو من كفلها؛ لأنّه كان هناك عادة في ذلك الوقت بموضوع الكفالة، اختصموا من سيكفلها وكفلها زكريّا، كما سيمرّ معنا: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: من الآية ٤٤].

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾: إذاً هي كانت في المحراب بمكان في البيت المقدّس، والمحراب هو أشرف مكان في المسجد يسمّى محراباً من حرب الشّيطان، فلا يباشر فيه إلّا السّجود. كلّما دخل عليها زكريّا المحراب في البيت المقدّس وجد عندها رزقاً، ولم يحدّد القرآن الكريم ما هو الرّزق، قالوا: إنّه فواكه الصّيف في الشّتاء وفواكه الشّتاء في الصّيف، هذا الرّزق ليس موجوداً في هذه البلاد، المهمّ أنّه رزق من عند الله.

﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾: زكريّا عليه السلام يعلم أنّ المنافذ لهذا الأمر مستحيلة، وأنّه لا يدخل ولا يخرج أحد إلّا بمعرفته؛ لأنّه هو الكافل لمريم، فعندما يكون الأمر مستغرباً، وعندما تجد رزقاً لا تعرف من أين فإنّ أوّل من وضع قانون: (من أين لك هذا؟) هو القرآن الكريم، قال سيّدنا زكريّا: يا مريم من أين لك هذا؟ ولم يكن ليسأل لو أنّه كان يعرف أنّه يأتيها بشكل طبيعيّ.

﴿قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾: مباشرة هذه الطّفلة العابدة مريم قالت له: هو من عند الله، إذاً علّمت هذه الطّفلة الأنثى النّبيّ زكريّا أنّ قدرة الله ﷻ تفعل بلا أسباب، وتعطي من غير حساب، وأنّ مشيئته لا يقيّدها شيء، فتذكّر وهو يعلم هذا الأمر، وكأنّها أشعلت في نفس زكريّا الوجدان.

(الآية ٣٨) - ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ﴾: إذاً هنالك في المحراب في ذلك المكان دعا زكريا ربّه، وقد كان كبير السّنّ وكانت زوجته عاقراً.

﴿قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: من لدنك: أي من وراء الأسباب؛ لأنّه يعلم أنّه لا يمكن ذلك بأسباب الأرض.

﴿ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ﴾: ليست الذّريّة من أجل المال، وإنّما الذّريّة عند الأنبياء من أجل المحافظة على المنهج وعلى القيم.

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾: سميع، مجيب الدّعاء.

(الآية ٣٩) - ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾:

﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾: إذاً كان يصلّي في المحراب، فكان يلجأ إلى الصّلاة والدّعاء في صلاته إلى الله ﷻ.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾: الّذي قال له هو سيّدنا جبريل عليه السلام، لكن عندما جاءه الصّوت من كلّ مكان فكأنّ الملائكة جميعاً نادته، بأنّ الله يبشّرك وسمّاه، لم يقل: يبشّرك بغلام أو بولد، وكما قال العلماء: إنّ اسم يحيى؛ لأنّه قُتل شهيداً، فيحيى ليحيى، ولا يبقى حيّاً إلّا الشّهيد: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾ [آل عمران]، فإذاً اسم يَحيى من الحياة.

﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّه كان يصدّق بما جاء به المسيح عليه السلام.

﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: سيّداً: مطاعاً في قومه. حصوراً: أي ممنوعاً من الحرام. نبيّاً من الصّالحين: إذاً هو ليس فقط سيّداً وحصوراً ومصدّقاً، وإنّما هو نبيّ من أنبياء الله، ومن الصّالحين في الدّنيا، أي أنّ سلوكه سيكون سلوك الصّالحين.

(الآية ٤٠) - ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠﴾:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ﴾: هنا نرى أدب الأنبياء عليهم السلام ومعلوم أنّ الرّجال حتّى لو بلغوا الكبر ممكن أن ينجبوا أولاداً، لكنّه لم يرد أن يقول عن زوجته: إنّها عاقر من دون أن يقدّم بأنّه هو كبير بالسّنّ، وفي هذا تكريم لزوجته، فلو قال: امرأتي عاقر كان يكفي، لكنّه قال: بلغني الكبر، ليضع السّبب بنفسه قبل أن يضعه بزوجته.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: إذاً طلاقة قدرة الله ﷻ بأنّه يحيي الموتى، ويرزق بغير حساب، ويفعل من دون أسباب، وأنّه إذا أراد شيئاً فإنّما يقول له: كن فيكون، ذكرها الله ﷻ هنا، فهو وحده الفعّال لما يريد، لا يوجد بشر فعّال لما يريد، فإذا أراد أحدنا شيئاً فمن الممكن أن تتغيّر الظّروف أو أن تتغيّر إرادته؛ لأنّنا في عالم أغيار، تتغيّر أحوالنا ما بين قوّة وضعف، وصحّة ومرض، وغنى وفقر، وحياة وموت.

(الآية ٤١) – ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾:

إذاً طلب زكريّا من الله ﷻ أن يجعل له آية تدلّ على هذا العطاء، حتّى يعرف أنّ المعجزة حدثت باعتبار أنّ الحيض منقطع عن زوجته، فكيف سيعرف أنّه وقع الأمر؟! هو متأكّد من وقوعه لكنّه أراد معجزة دالّة.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾: فكانت صياماً عن الكلام مع ذكر الله ﷻ، فعندما لا تكلّم النّاس أنت تكلّم ربّ النّاس.

ولكن هنا هل أمره الله ﷻ ألّا يكلّم النّاس أم منعه؟

الجواب أنّه منعه، فلو أراد أن يتكلّم لما استطاع.

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: انظروا لدقّة الأداء القرآنيّ، فالله منعه من الكلام، لكنّه سمح له بالشّكر والذّكر، والله ﷻ عندما تحدّث عن معجزة الإسراء والمعراج إلى السّماوات، وهي أكبر بكثير من معجزة ولادة يحيى من امرأة عاقر، أن تطأ قدما المصطفى سدرة المنتهى،

وأن يخرج من نطاق الحياة الدّنيا إلى منبع الأنوار، وأن يُسرى به ليلاً في نفس الوقت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويعرج به إلى السّماوات السّبع، كيف ابتدأ الله ﷻ الكلام؟ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: من الآية ١]، أي نزّهوا الله ﷻ عن أن يكون له مثيل.

(الآية ٤٢) - ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾:

هذه الصّور التي تمثّلت أمامنا من خلال هذه الآيات هي من أجل التّهيئة والإيناس للسّيّدة مريم عليها السّلام.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾: والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام.

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾:

هنا يوجد اصطفاءان: الأوّل: ﴿اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ لا يوجد (على)، والثّاني: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يوجد (على).

الاصطفاء: هو الاختيار والاجتباء.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾: فإذاً هي مطهّرة بأمر من الله؛ لأنّها ستُتّهم، فهي ستحمل من دون أب، وستكون معجزة، وسيستنكر البشر في ذلك الوقت هذه المعجزة العظيمة للسّيّدة مريم، فأراد الله ﷻ أن يبشّرها بالمسيح عليه السلام وقبل كلّ شيء أن يعلمها أنّها مُصطفاة في موكب الإيمان، ومُصطفاة على كلّ نساء العالمين.

(الآية ٤٣) – ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾:

﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾؛ لأنّ هذا الاصطفاء والاجتباء والتّكريم والتّطهير يستوجب عبادة الله بخشوع وقنوت وتدبّر.

﴿وَٱسۡجُدِي﴾؛ لأنّ علامة الصّلاة هي السّجود والرّكوع، فأقرب ما يكون العبد من ربّه ﷻ وهو ساجد؛ لأنّه يضع أشرف شيء في الجسد على الأرض وعلى التّراب الّذي خُلق منه.

﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: والرّكوع إشارةٌ إلى تمام الصّلاة، وهو خضوعٌ بشكلٍ عامٍّ لأوامر الله ﷻ، لكن لماذا قال الله ﷻ: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ ولم يقل: واركعي مع الرّاكعات؟ عندما يكون الأمر بالرّكوع عامّاً وليس مختصاً فقط للنّساء فتصحّ أن تأتي: (مع الرّاكعين)؛ لأنّ الرّكوع مطلوب من الرّجال والنّساء، والله ﷻ جعل التّكليف للمرأة والرّجل واحداً، وجعل لكلٍّ منهما مسؤوليّةً.

(الآية ٤٤) – ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾:

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾: هو غيب بالنّسبة للنّبيّ ﷺ، لكنّه معلوم؛ لأنّه حدث، إذاً هو غيب تاريخيّ، وبما أنّ الإخبار من الله ﷻ فهو أصدق من الحواسّ.

﴿نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ﴾: هذا الكلام المتعلّق بالسّيّدة مريم، وأنّها مُصطفاةٌ على

نساء العالمين، وتهيئة الأسباب للحدث العظيم وهو ولادة السّيّد المسيح، وذكر زكريّا ويحيى عليهما السّلام، كلّ ذلك وحيٌ نوحيه إليك.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾: كان هناك شجار بين زكريّا وبين قومه، كلّهم يريد أن يكفل الطّفلة مريم، فاختصموا واقترعوا عليها بأقلامهم التي يكتبون بها التّوراة، فأيّهم تقع القرعة عليه فهو يكفلها، فوقع الاختيار على زكريّا عليه السلام.

(الآية ٤٥) - ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾:

﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾: بشّر الله سبحانه وتعالى السّيّدة مريم العذراء البتول الطّاهرة بأنّه سيأتيها ولد، وهي معجزة كبرى، فهو الحدث الوحيد في الكون كلّه أن تلد امرأة من دون أب، وهذا لن يتكرّر مرّة أخرى.

﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾: الله سبحانه وتعالى يزاول سلطانه في ملكه بالكلمة لا بالعلاج، يقول للشّيء: كن فيكون.

﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: سمّاه وسمّى نسبه وعيلته، اسمه عيسى ولقبه المسيح، وسمّي بالمسيح عليه السلام؛ لأنّه كان يمسح على المريض فيبرأ بإذن الله سبحانه وتعالى، ونسبه لأمّه، ولا يوجد ولدٌ يُنسب للأمّ، فعلمت مريم ضمناً أنّه لن يكون له أبٌ.

﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: وجيهاً في الدّنيا أي لا يردّ له أمر في الدّنيا، ووجيهاً في الآخرة؛ لأنّه من الصّالحين والرّسل عليهم السلام.

﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: من المصطفين الّذين اصطفاهم الله ﷻ من الأنبياء والرّسل عليهم السلام. إذاً أعطاه الاسم والكنية واللّقب والفعل، وأنّه سيكون معجزة ولن يكون له أب.

(الآية ٤٦) – ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٤٦﴾:

هنا يُعطي صورة للسّيّد المسيح قبل أن يولد، فهو يكلّم النّاس في المهد، والمهد هو مكان إيواء الطّفل، إذاً سيكلّم النّاس وهو رضيع، وهذا أمر معجز، أمّا قوله ﷻ: ﴿وَكَهْلًا﴾، فهو إشارة إلى أنّه سيتكلّم بما يوحيه الله إليه، وإلّا فإنّ جميع النّاس تتكلّم أثناء الكهولة.

(الآية ٤٧) – ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧﴾:

السّيدة مريم هي مَن قال لسيّدنا زكريّا عندما سألها عن مصدر الرّزق الّذي يجده عندها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ﴾ فكان من الطّبيعيّ أنّها مهيّئة لاستقبال البشارة بولد، لكن عندما يحدث الأمر الّذي سيهزّ أعماق السّيّدة الطّاهرة مريم فمن الطّبيعيّ ستقول: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ﴾؛ لأنّ الإنجاب يكون نتيجة التقاء ذكر وأنثى.

(الآية ٤٨) – ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٤٨﴾:

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: ما المقصود بالكتاب؟ قال العلماء: المقصود كلّ الكتب السّابقة، مثل صحف إبراهيم والزّبور..؛ لأنّها من لدن إله واحد؛ لأنّ العقائد والجنّة والنّار والقصص كلّها واحدة في كلّ الكتب السّماويّة، في القرآن والإنجيل والتّوراة وصُحف إبراهيم والزّبور.

﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: وهي كلّ ما يجري على لسان السّيّد المسيح من أقوال وأفعال.

﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾: يعلّمه الكتب السّماويّة السّابقة والحكمة والتّوراة والإنجيل.

(الآية ٤٩) – ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: نحن نعلم أنّ السّيّد المسيح عليه السلام أُرسل إلى بني إسرائيل.

﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: بآية: أي بمعجزة، والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة الّذي يجري على يد مدّعي النّبوّة على وجهٍ يُثبت صدق دعواه. ومن معجزات المسيح عليه السلام:

– ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾: كلمة الخلق من العدم لا تُستخدم إلّا بحقّ الله سبحانه وتعالى، أمّا هنا فإنّ السّيّد المسيح يخلق من الطّين بأمر الله، فيصنع من الطّين طيراً، وهذا أمر طبيعيّ، لكن الأمر غير الطّبيعيّ أنّه ينفخ فيه بأمر الله سبحانه وتعالى فيصبح طيراً.

– ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾: والأكمه هو الإنسان الأعمى منذ ولادته، ومرض البرص هو مرض معروف، يصبح الجلد فيه أبيضَ نتيجة

تعطّل الغدد، فكان السّيد المسيح عليه السلام يمسح بيده على الأكمه فيبرأ، وعلى الأبرص فيشفى.

- ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: نحن نعلم أنّ لكلّ أجل كتاب، وأمّا إحياء عيسى عليه السلام للموتى فكما قال العلماء: يقول لفلان: قم، فيقوم، ثمّ يموت، لكن هي معجزة يُريها للنّاس بأنّه يحيي الموتى بأمر الله سبحانه وتعالى.

- ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾: أخبركم بما تدّخرون، أي ماذا يوجد في بيوتكم من طعام، وما تأكلونه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: فإن لم تكونوا مؤمنين مهما عملت فلن يفيد معكم؛ ولذلك جحد بنو إسرائيل.

(الآية ٥٠) - ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾:

﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: أي ما كان قبلي، يُصدّق ما جاء في التّوراة؛ لأنّ التّوراة والإنجيل والقرآن والكتب السّماويّة كلّها من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾: هل كلّ ما يُحرّم يكون ضارّاً؟ الجواب: لا، فقد يكون تأديباً، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾﴾ [النّساء]، فالتّحريم التّأديبيّ رفعه سيّدنا المسيح سبحانه وتعالى.

﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾: جئتكم بآية من ربّكم، والمطلوب: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ وهذه دعوة كلّ الرّسل عليهم السلام.

إذاً ليس هناك تقوى لله ﷻ من دون طاعة للرّسول ﷺ.

(الآية ٥١) – ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾:

الصّراط المستقيم هو أقصر مسافة توصل إلى الغاية.

(الآية ٥٢) – ﴿* فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾:

عندما عرف أنّهم كفروا بما جاء به رغم كلّ الآيات الدّالّة على صدقه، قال: من ينصرني منكم لله؟

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: الحواريّون: هم من ناصروا الله وناصروا السّيّد المسيح عليه السلام، والمعنى اللّغويّ: وجههم نضر أبيض من نور الإيمان.

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: إيماننا بالله ﷻ دليل على أنّنا أنصاره، ونتّبع أوامره أي آمنّا بالله، وطلبوا من عيسى عليه السلام أن يشهد عليهم بأنّهم مسلمون.

كلّ الأديان التي جاءت من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء والرّسل هي دين الإسلام، أمّا الشّريعة الإسلاميّة فهي التي جاءت بالقرآن الكريم وعلى يدي النّبيّ محمّد ﷺ، والدّليل هذه الآية التي تقول: ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. فنحن أمام وحدة المواكب الإيمانيّة، ولكن قد يقول قائل: طالما أنّ الكتب السّماويّة تأتي بنفس الأمور المتعلّقة بالجنّة والنّار والحساب

والعقاب والقصص والتّاريخ، فلماذا هناك إنجيل وتوراة وقرآن وزبور وصحف إبراهيم؟ لماذا لا تكون كتاباً واحداً؟ الجواب أنّه في كلّ فترة زمنيّة يتطوّر العقل البشريّ، وتختلف مساحة الزّمن والمكان والبيئة بالنّسبة لدعوة الأنبياء، فتختلف الشّرائع، فلا بدّ من شريعة تواكب التّطوّر حتّى تأتي الشّريعة الخاتمة التي تستوعب كلّ الزّمان والمكان، والتي تشمل كلّ الرّسالات والأنبياء، كالقرآن الكريم الّذي ختم الله ﷻ به الكتب السّماويّة، إذاً الأحكام المتعلّقة بالبشر هي التي تختلف من رسالة إلى أخرى، أمّا العقيدة والإخبار والبيان من الله تبارك وتعالى فيما يتعلّق بالأنبياء الّذين سبقوا، أو بالأحداث التي سبقت فكلّها واحدة.

(الآية ٥٣) - ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾:

ليس المهمّ أن تقول: آمنت بالله فقط، لكن لا بدّ من أن تؤمن بما أنزل الله ﷻ، فمن يدّعي أنّه مؤمن بالله لكنّه لا يعترف بالصّلاة والصّوم والحجّ والزّكاة، فهو غير مؤمن.

﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾؛ لأنّ الله سيُشهد المؤمنين يوم القيامة على كلّ الخليقة الّذين كفروا وجحدوا بآيات الله، ويكون الرّسول عليهم شهيداً.

(الآية ٥٤) - ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾:

الكلام على شعب بني إسرائيل الّذين مكروا بسيّدنا عيسى كما مكروا بسيّدنا محمّد ﷺ، ونجد التّرويج الصّهيونيّ اليهوديّ لمحاولة النّيل من

تعاليم الإسلام، فهم يمثّلون أنفسهم أنّهم اضطهدوا في عهد النّبيّ، لكنّهم في الحقيقة جحدوا وكفروا بآيات الله، وتآمروا وخطّطوا لقتل النّبيّ ﷺ، وهذا ما حدث أيضاً مع السّيّد المسيح عليه السلام، وهذا دليل على أنّ هذا الشّعب الّذي ادّعى بأنّه شعب الله المختار هو وباء وبلاء للبشريّة، ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾ [المائدة].

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾: المكر: هو تبييت بخفاء.

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾: لا يجوز أن نُطلق على الله عزّ وجلّ صفة المكر؛ لأنّ أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته توقيفيّة، أي أنّها جاءت كما أبلغها جبريل عليه السلام للنّبيّ ﷺ، والمراد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ أنّهم بيّتوا بالخفاء فردّ الله سبحانه وتعالى مكرهم بتبييتٍ يُبطل فعل هذا المكر، وهذا يسمّى في اللّغة مشاكلة لفظيّة. ﴿خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ فالخير لا يكون مع المكر إلّا إذا كان من الله تعالى؛ لأنّه يبطل الشّرّ بالخير، وهذا هو معنى الآية.

(الآية ٥٥) - ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥﴾:

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: إذاً التّوفّي تأتي بمعنى الموت، لكنّه قال بعدها: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فإذاً توفّي الشّيء: أي أخذ الشّيء كاملاً، إذاً: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي بتمامك يا عيسى، أي رافعك روحاً وجسداً.

﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾: فهم سيتّهمون السّيّد المسيح عليه السلام؛ لأنّه جاء من دون أب، وكلمة مطهّرك تعني مزكّيك، التّطهير هو التّزكية.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: والمراد شعب بني إسرائيل، فالله سبحانه وتعالى رفع عيسى إليه كاملاً، وطهّره من ألسنتهم.

﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: الّذين اتّبعوا السّيّد المسيح هم الحواريّون، وبعد ذلك الّذين آمنوا برسالة السّيّد المسيح عليه السلام، وبعد ذلك كلّ من آمن برسالة سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم فقد آمن برسالة المسيح عليه السلام. والفوقيّة هنا فوقيّة دليل وليس فوقيّة مادّة، العلو هنا بالدّليل أي أنّ الدّليل أقوى، فكلّ الأديان التي جاءت من عند الله سبحانه وتعالى، جاءت بالأدلّة والبراهين ولم تأت لقهر النّاس على مطلوبات الإيمان.

﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: يجب أن تعلموا أنّ المرجع إليه؛ لذلك نحن نقول عند كلّ مصيبة وبلاء: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: من الآية ١٥٦]، إذاً المستقرّ النّهائيّ عند الله سبحانه وتعالى، وهو الّذي يحكم بين البشر، ففي الآخرة سيكونون قسمين:

(الآية ٥٦) - ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦﴾:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: الّذين جحدوا برسالة المسيح ورسالة موسى وإبراهيم وداود وسليمان ويعقوب ونوح وكلّ الأنبياء عليهم السلام، فالّذين كفروا بكلّ هذه الرّسالات يعذّبهم الله سبحانه وتعالى في

الدّنيا والآخرة، أمّا عذاب الدّنيا فإنّنا لا نراه، وأمّا عذاب الآخرة فيراه الخلق جميعاً. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾؛ لأنّه في الآخرة لا ناصر ولا معين ولا شفيع إلّا بإذن الله ﷻ.

(الآية ٥٧) – ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧﴾:

كلّ آيات القرآن الكريم التي تتحدّث عن الإيمان تجمع بين الإيمان والعمل الصّالح؛ لأنّ عنوان الإيمان هو ما وقر في القلب وصدّقه العمل.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الله لا يحبّ أو يكره إنساناً بذاته، وإنّما يكون ذلك حسب عمله، فإذا كان ظالماً لنفسه أو ظالماً لغيره فإنّ الله ﷻ لا يحبّه، كما بيّن القرآن الكريم: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النّجم]؛ لذلك الإسلام ليس شعارات وليس فقط عبادات وإنّما هو عمل صالح.

(الآية ٥٨) – ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ۝٥٨﴾:

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي كلّ ما سبق أخبار.

﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾: كلمة تلاوة من تلا الشّيء، أي اتّبعه، فالتّلاوة ليست فقط ترداد كلمات، وإنّما فيها معنى الاتّباع.

﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾: آيات يعني معجزات.

﴿وَٱلذِّكْرِ﴾: والذّكر هو القرآن الكريم، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، سمّي القرآن ذكراً؛ لأنّه كلام الله ﷻ،

فأنت عندما تقرأ القرآن الكريم فكأنّك تسمع من الله ﷻ، فأنت تذكره، والذّكر ضدّ النّسيان.

﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾؛ لأنّه ﷻ يضع الأمور في مواضعها.

(الآية ٥٩) - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾:

عندما جحد شعب بني إسرائيل وأنكر وخلق كلّ هذه البلبة حول السّيّد المسيح، جاءهم القول الفصل بالحجّة الأقوى، فإذا كان عيسى عليه السلام قد جاء بدون أب، فإنّ آدم عليه السلام قد جاء بدون أب وبدون أمّ، فلماذا تكذّبون وتنكرون على السّيّد المسيح مجيئه من دون أب؟!

(الآية ٦٠) - ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠﴾:

هذا هو الحقّ، والحقّ: هو الشّيء الثّابت والصّحيح بالدّليل والبرهان، فلا مجال للشّكّ أو المراء والجدال فيه.

(الآية ٦١) - ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١﴾:

﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ﴾: حاجّك كيف جاء عيسى عليه السلام بدون أب، أي حاججك وناقشك فيه.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾: فمن حاجّك بعد العلم الّذي جاءك، إذاً القضيّة لم تعد قضيّة علم أو منطق، بل قضيّة إنكار وجحود بالحقّ.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: هذه تسمّى آية المباهلة، فما هي المباهلة؟ المباهلة: هي التّضرّع في الدّعاء لاستنزال اللّعنة على الكاذب.

لماذا تكون الدّعوة للأبناء والنّساء؟ لأنّ أعزّ ما للإنسان في الحياة أولاده، أي أسرته المقرّبة. فمن قال في عيسى عليه السلام غير ما قاله الله سبحانه وتعالى فيه، من أنّه عليه السلام عبد الله وعزّ وجلّ ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فهو مدعوّ للمباهلة لاستنزال لعنة الله على الكاذب.

(الآية ٦٢) – ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾:

القصّ: معناه تتبّع الأثر، والقصّة القرآنيّة لا خيال فيها ولا إضافات، فالقصص القرآنيّ هو نقل للواقع وهو القصص الحقّ. السّيّدة مريم ولدت المسيح عليه السلام من دون أب، وقد رُفع إلى السّماء روحاً وجسداً، وبيّن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه سيعود وينزل إلى الأرض، وأنّ نزوله سيكون من علامات السّاعة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ﴾ [الزّخرف: من الآية ٦١].

(الآية ٦٣) – ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾:

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: التّولّي عكس الإقبال، إمّا أن تُقبل على الشّيء وتَقبل به، وإمّا تتولّى وتُعرض.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾: يريدون الإفساد ولا يريدون الحجّة والنّقاش والعقل والعلم والدّليل أنّ عيسى عليه السلام خلقه الله سبحانه وتعالى من غير أب.

(الآية ٦٤) - ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾:

وهذه آية عظيمة فالإسلام والقرآن الكريم يكرّم السّيّدة مريم العذراء والسّيّد المسيح، ويريد أيضاً أن يكون هناك توحيد للكلمة بين المسلمين والمسيحيّين، واجتماع الكلمة يكون على أن نعبد الله وحده، ولا نُشرك به أحداً. ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي لا نجعل من بعضنا مشرّعين يضعون الحلال والحرام، فذلك إنّما يكون من عند الله ﷻ فقط.

(الآية ٦٥) - ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾:

إنّ إبراهيم عليه السلام لا يمكن أن يكون يهوديّاً كما يدّعي اليهود، فاليهوديّة جاءت من بعده، وكذلك النّصرانيّة، فلمَ المحاجّة إذاً؟ لقد أُنزلت التّوراة والإنجيل من بعد إبراهيم عليه السلام، فكيف يكون تابعاً لهما؟!

(الآية ٦٦) - ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾:

والخطاب ما زال مستمرّاً لبني إسرائيل، يقول الله ﷻ لهم: لقد جادلتم فيما بقي عندكم من التّوراة، وتريدون أن تأخذوا الجدل على أنّه باب مفتوح، فتجادلوا في كلّ شيء، وأنتم لا تعلمون ما يعلمه عالم الغيب والشّهادة جلّ وعلا.

(الآية ٦٧) – ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾:

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾: وهذا تأكيد أنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديّاً؛ لأنّ اليهوديّة جاءت من بعده، ولم يكن نصرانيّاً؛ لأنّ النّصرانيّة جاءت من بعده.

﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: معنى حنيفاً أي مائلاً عن الشّرك إلى التّوحيد.

(الآية ٦٨) – ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾:

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾: فأولى النّاس بإبراهيم عليه السلام ليس الّذين جاؤوا من ذريّته، بل الّذين اتّبعوه، ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم قد اتّبع إبراهيم؛ لذلك لا علاقة لإبراهيم بمن جاء من نسله ممّن حرّفوا المنهج ولم يواصلوا الإيمان، فقد حسم الله سبحانه وتعالى هذه القضية مع إبراهيم عليه السلام عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة].

(الآية ٦٩) – ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٦٩﴾:

﴿وَدَّت﴾: أي تمنّت.

﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: وهذا، كما مرّ معنا، قانون صيانة الاحتمال، فليس كلّ أهل الكتاب تمنّوا إضلال المؤمنين.

﴿لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾: لماذا أحبّوا أن يُضلّوا المؤمنين؟ لأنّ المنحرف حين يرى المستقيم فإنّه يحتقر نفسه؛ لأنّه لم يستطع ضبط حركته على مقتضى التّكليف الإيمانيّ، فيحاول أن يأخذ الملتزم إلى جانب الانحراف.

(الآية ٧٠) - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾:

قد يسأل سائل: هل شهد أهل الكتاب الآيات العجيبة في زمن النّبيّ؟ الجواب: نعم، فقد كان اليهود يَستفتحون على مَن يُقاتلونهم بمجيء نبيّ قادم سيتّبعونه، فيُنصَرون على أعدائهم، فلمّا بُعثَ النّبيّ محمّد ﷺ كفروا به بغياً وحسداً.

(الآية ٧١) - ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾:

﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾: اللّبس: هو إدخال شيء بشيء، لبس الإنسان أي أدخل جسمه في لباسه، فهم يخلطون الحقّ مع الباطل، ويكتمون الحقّ وهم يعلمون. فقد كانت أوصاف النّبيّ ﷺ في التّوراة، كما قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: (لقد عرفته حين رأيته كمعرفتي لابني، ومعرفتي لمحمّد أشدّ).

(الآية ٧٢) - ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾:

كيف سيحتال اليهود على المسلمين في المدينة المنوّرة؟ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ

﴿يَرْجِعُونَ﴾، لماذا؟ حتّى يُشيعوا الشّكّ في الدّين الإسلاميّ، ويزرعوا البلبلة في نفوس المؤمنين بخصوص هذا الدّين، فقد يقول بعض الأمّيّين: لقد اختبر أهل الكتاب هذا الدّين الجديد، وهم أهل علم بمناهج السّماء، ولم يجدوه مُطابقاً لها.

(الآية ٧٣) - ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾:

يكشف الحقّ ﷻ لرسوله وللمؤمنين خداع اليهود الّذين تآمروا أن يؤمنوا وجه النّهار ويكفروا آخره، فقد طالب المتآمرون بعضهم بعضاً أن يظلّ الأمر سرّاً حتّى لا يفقد المكر هدفه وهو بلبلة المسلمين من الأمّيّين؛ لذلك قالوا: لا تكشفوا سرّ هذه الخدعة إلّا لمن هو على شاكلتكم، لكنّ الله كشفهم بإنزال هذه الآية على نبيّه ﷺ.

(الآية ٧٤) - ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾:

ليس لأحد حقّ على الله، فهو ﷻ يُعطي رحمته بالإيمان بمنهجه لمن يشاء، وهو صاحب الفضل المطلق.

(الآية ٧٥) - ﴿* وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾:

﴿بِقِنطَارٍ﴾: القنطار هو: القدر الكبير من المال.

﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾: قيل: المقصود هنا النّصارى.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾: قيل: المقصود هنا اليهود.

﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ﴾: أي لا يؤدّي الأمانة إلّا بعد الملاحقة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾: المقصود بالأمّيّين أهل مكّة والموجودون في المدينة، والكلام هنا عن اليهود والمسلمين. فاليهود يقولون: لا نرجع الأمانات للأمّيّين، فهم شرّعوا لأنفسهم التّفرقة في أداء الأمانة بين الأمّيّين وبين مَن كان على دينهم.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾: يعلمون أنّه كذب وينسبون ذلك لله، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علّواً كبيراً، يقولون: إنّهم شعب الله المختار وهم كاذبون.

(الآية ٧٦) – ﴿بَلَىٰٓ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾:

جاء قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ لينقض ادّعاء اليهود أنّه ليس عليهم في الأمّيّين سبيل.

(الآية ٧٧) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾:

عهد الله: المقصود به العهد الموجود في التّوراة. فإذاً كلّ ما آمنوا به بالنّسبة للتّوراة وما جاء فيها من أوصاف النّبيّ ﷺ ووجوب اتّباعه حين بعثته نقضوه واشتروا به ثمناً قليلاً، فما هو الثّمن القليل؟

سبب النّزول:

قيل: إنّ جماعة في عهد جدب ومجاعة دخلت على كعب بن الأشرف اليهوديّ يطلبون منه الميرة -أي الطّعام- فقال لهم: هل تعلمون أنّ هذا الرّجل رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: إنّي هممت أن أطعمكم وأن أكسوكم، ولكنّ الله حرمكم خيراً كثيراً، فتساءلوا: لماذا؟ فكانت الإجابة: لقد أعلنتم الإيمان بمحمّد، فلمّا وجدوا أنفسهم في هذا الموقف، قالوا لكعب ابن الأشرف: دعنا فترة؛ لأنّه ربّما غلبتنا شبهة، فلنراجع فيها أنفسنا، وعندما مرّت الفترة فضّلوا الطّعام والكسوة على الإيمان، وقالوا لكعب بن الأشرف: لقد قرأنا في كتبنا الموجودة لدينا خطأ، ومحمّد ليس رسولاً، فأعطاهم القوت والكسوة. وهؤلاء هم الّذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وهو الطّعام والكسوة.

﴿لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ﴾: لا نصيب لهم في الآخرة.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾: لا يكلّمهم الله بالخير، وإنّما يكلّمهم بالعقاب.

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: نظر الله ﷻ رحمة، فإذا نظر إليهم فقد رحمهم.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: أي لا يطهّرهم ممّا عملوا.

(الآية ٧٨) - ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾:

أي إنّهم يلوون ألسنتهم بالكلام الصّادر عن الله ﷻ ليحرّفوه عن معانيه، واللّي: هو الفتل، فكانوا يلوون ألسنتهم بكلام يدّعون أنّه من المنهج

المنزل من عند الله ﷻ، وما هو بذلك، ولكنّهم يفعلون ذلك للتّنقيص من مكانة الإسلام والطّعن على الرّسول ﷺ، كما قالوا من قبل: ﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: من الآية ١٠٤]؛ لذلك قال الله ﷻ مُخاطباً المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾[البقرة]، وكذلك حرّفوا فقالوا: (وقولوا: حنطة)، وهم قد فعلوا ذلك حتّى نحسب هذا التّحريف من الكتاب، وما هو من الكتاب.

(الآية ٧٩) - ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٩﴾:

﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: يوجد قضيّتان تتعلّقان بالكتاب هنا:

١- العلم بالكتاب.

٢- ودراسة الكتاب.

فإذاً العلم شيء والدّراسة شيء آخر، فالدّراسة هي بحث فكريّ.

(الآية ٨٠) - ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۧنَ أَرْبَابًاۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ٨٠﴾:

ليس لبشر آتاه الله ﷻ الكتاب والحكم والنّبوّة أن يأمر النّاس باتّخاذ الملائكة والنّبيّين أرباباً؛ لأنّه من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

(الآية ٨١) - ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾:

يخبر ﷻ أنّه أخذ ميثاق كلّ نبيّ بعثه من لدن آدم إلى عيسى عليه السلام، فمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلغ، ثمّ جاءه رسول من بعده ليؤمننّ به ولينصرنّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنّبوّة من اتّباع من بعث بعده ونصرته. أرأيتم وحدة المواكب الإيمانيّة، هنا يمنع التّعصّب، فكلّ نبيّ يؤمن بالنّبيّ الّذي قبله، فموكب الرّسالات من يوم أن خلق الله ﷻ الإنسان هو منهج متساند لا متعاند.

﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾: إصري: عهدي.

(الآية ٨٢) - ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾:

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: عن هذا العهد والميثاق، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

(الآية ٨٣) - ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾:

ينكر ﷻ على من أراد ديناً سوى دين الله الّذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله، وهو عبادته وحده لا شريك له، الّذي (له أسلم من في السّماوات والأرض) أي: استسلم له من فيهما طوعاً وكرهاً، كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ

﴿يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرّعد]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النّحل]. فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله ﷻ، والكافر مستسلم لله ﷻ كرهاً، فإنّه تحت التّسخير والقهر والسّلطان العظيم الّذي لا يُخالف ولا يُمانَع.

(الآية ٨٤) - ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: قل: تقتضي أن يأتي بعدها بصيغة المفرد، تقتضي أن يأتي بعدها: (آمنت)، لكن في القرآن الكريم كلّ كلمة جاذبة لمعناها، فالقرآن الكريم خطابٌ للنّبيّ ﷺ، وكلّ خطابٍ للنّبيّ ﷺ مأمورةٌ به أمّة النّبيّ؛ لذلك: ﴿قُلْ ءَامَنَّا﴾، وليس (قل: آمنت).

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾: أرأيتم وحدة الرّسالات السّماويّة؟

والأسباط: هم بطون بني إسرائيل المتشعّبة من أولاد إسرائيل -وهو يعقوب- الاثني عشر.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: كلّنا له خاضعون.

(الآية ٨٥) - ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾: من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله ﷻ فلن يُقبل منه، كما قال النّبيّ ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»[1].

(الآية ٨٦) - ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾:

سبب النّزول:

عن ابن عبّاس ﷺ قال: كان رجلٌ من الأنصار أسلم ثمّ ارتدّ ولحق بالشّرك، ثمّ ندم، فأرسل إلى قومه: أن سَلوا لي رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ قال: فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ أي: قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرّسول، ووضح لهم الأمر، ثمّ ارتدّوا إلى ظلمة الشّرك، فكيف يستحقّ هؤلاء الهداية بعد ما تلبّسوا به من العماية؟! ولهذا قال بعدها: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور، الحديث رقم (١٧١٨).

(الآية ٨٧) - ﴿أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾:

أي: يلعنهم الله ويلعنهم خلقه، واللّعنة: هي الطّرد من الرّحمة.

(الآية ٨٨) - ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾:

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: أي: في اللّعنة.

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: أي: لا يفتّر عنهم العذاب ولا يخفّف عنهم ساعة واحدة.

(الآية ٨٩) - ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾:

وهذا من لطفه ﷻ وبرّه ورأفته ورحمته بخلقه: أنّه من تاب إليه تاب عليه. وقد أمر الله ﷻ عباده أن يتوبوا إليه توبة نصوحاً، أي توبة صادقة خالصة لا رجوع فيها، وقد قال ﷺ: «**إنّ الله ﷻ يبسط يده بالنّهار ليتوب مسيء اللّيل، ويبسط يده باللّيل ليتوب مسيء النّهار حتّى تطلع الشّمس من مغربها**»(١).

(الآية ٩٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾:

يقول ﷻ متوعّداً ومهدّداً لمن كفر بعد إيمانه ثمّ ازداد كفراً، أي:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند الكوفيّين، حديث أبي موسى الأشعريّ، الحديث رقم (١٩٦٣٥).

استمرّ عليه إلى الممات، ومخبراً أنّه لا يقبل لهم توبة عند مماتهم، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النّساء].

﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾: أي: الخارجون عن المنهج الحقّ إلى طريق الغيّ.

(الآية ٩١) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾:

أي: من مات على الكفر فلن يقبل منه عمل خير أبداً، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهباً فيما يراه قربة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهليّة يصل الرّحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال ﷺ: «**لا ينفعه، إنّه لم يقل يوماً: ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدّين**»[1]. وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضاً ذهباً ما قُبل منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة: من الآية ١٢٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة]، ويقتضي ذلك ألّا ينقذ الكافر من عذاب الله شيء، ولو افتدى نفسه

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الدّليل على أنّ من مات على الكفر لا ينفعه عمل، الحديث رقم (٢١٤).

من الله بملء الأرض ذهباً، بوزن جبالها وتلالها وترابها ورمالها وسهلها ووعرها وبرّها وبحرها. عن النّبيّ ﷺ قال: «**يُقال للرّجل من أهل النّار يوم القيامة: أرأيت لو كان ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلّا أن تشرك بي**»(١).

(الآية ٩٢) – ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾:

البِرّ: هو السّعة، ومنها: البَرّ أي الأرض المتّسعة، مأخوذة من السّعة، مع أنّ البحار أكبر من اليابسة، لكنّ حركة الإنسان في البحار مقيّدة، لا يستطيع أن يتحرّك إلّا ضمن حدود السّفينة، بينما في البرّ فحركته مطلقة.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾: هنا المقصود الجنّة، فالإنسان يطلب الجنّة، لكنّه لن يحصل عليها حتّى يُنفق ممّا يحبّه، فالإنفاق برهان على الإيمان كما قال ﷺ: «**والصّلاة نور والصّدقة برهان**»(٢)، فالإنسان عندما يُنفق من كدّه وسعيه في هذه الحياة في سبيل الله سبحانه وتعالى ويُعطي الفقراء والمحتاجين فهو يُبرهن على امتثاله لأمر الله سبحانه وتعالى، والرّضا بما أمر الله، واليقين أنّ ما عند الله سبحانه وتعالى هو خيرٌ وأبقى ممّا عند البشر.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند المكثرين من الصّحابة، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، الحديث رقم (١٢٣١١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

وعمليّة الإنفاق هي معاملةٌ مع الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: من الآية ٢٤٥]، ولم يقل: (من ذا الّذي يُقرض الفقراء)، فالتّعامل هنا مع الله، فإذا أردت أن تتعامل مع عظيم أو غنيّ أو صاحب جاه في الدّنيا فإنّك تُقدِّم أحسن وأحبّ ما عندك لتُرضيه، فكيف إذا كنت تتعامل مع الله؟! قال ﷺ: «**الخلق عيال الله، وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»(١)، والنّفعيّة تكون إمّا بإنفاق المال، أو بإنفاق الجاه، أو السّعي في حاجة النّاس.. فعندما تُنفق في سبيل الله، فأنت تُنفق في مصارف الزّكاة والصّدقات التي بيّنها كتاب الله ﷻ.

ومن عادة الأنفس الشّحّ والبخل، فإن كان لديك ثوبان، ثوب جديد وثوب بالٍ قديم، فعندما تُريد أن تُنفق هل تُنفق الجديد أو القديم؟! فإن أردت أن تتعامل مع الله ﷻ فلن تنال البرّ حتّى تُنفق ممّا تُحبّ. ونرى شدّة تأثّر الصّحابة الكرام بكلام الله، فقد كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبّ أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيّب. قال أنس: فلمّا أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ الله ﷻ يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، وإنّ أحبّ أموالي إليّ بيرحاء، وإنّها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ:

---

(١) شعب الإيمان: باب في طاعة أولي الأمر، الحديث رقم (٧٤٤٥).

«**بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلت، وإنّي أرى أن تجعلها في الأقربين**»، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّه[1]. وهذا معنى كبير، عندما يكون في أقارب الإنسان ذوو حاجة فيتصدّق عليهم، فهذا أولى وأعظم أجراً.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾: من شيء: مِن للتّبعيض، فأيّ صدقة مهما صغرت أو كبرت فإنّ الله بها عليم، وكفى به عليماً.

المهمّ في أعمالك أن تكون النّيّة خالصة لوجه الله، فأنت تعمل لله، وتُنفق في سبيل الله ﷻ.

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الزّكاة، باب الزّكاة على الأقارب، الحديث رقم (١٣٩٢).

تمّ بفضل الله تعالى تفسير الجزء الثّالث

الحمدُ لله الّذي جعلَ القُرآنَ نُوراً لا يُطْفَأُ مِصبَاحُهُ، وسِرَاجاً لا يَخْبُو تَوَقُّدُه، ومَنهَجاً لا يَضِلُّ سَالِكُهُ، وفُرقَاناً لا يَخمَدُ بُرهانُهُ، وبُنياناً لا تُهْدَمُ أحكامُهُ، وحَقّاً لا يُخْذَلُ أعوانُهُ.

اللهمَّ اجعلنَا ممَّن تأدَّبَ بآدابِ القرآنِ، وائتمرَ بأوامرِه، وانتهى بنواهيه، والتمسَ غرائبَ علومِه، وخشَعَ لسماعِه، وخضعَ لكلامِه، وآمنَ بمتشابِهِه، وعَمِلَ بمُحكَمِه، واستنَّ بسُنَّتِه، وحافظَ على واجباتِه، وعَمَّرَ بتلاوتِه جميعَ أوقاتِه، ولم يغفَلْ عن تلاوتِه في حالةٍ من حالاتِه.

سبحانَ ربِّك ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفونَ، وسلامٌ على المرسلينَ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

فهرس

رقم الآية – نصّ الآية رقم الصّفحة

تفسير سورة (البقرة) من الآية: (٢٥٣-٢٨٦):

٢٥٣- ﴿* تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ ٩

٢٥٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ ١٣

٢٥٥- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ ١٤

٢٥٦- ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ .. ٢٢

٢٥٧- ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ ٢٨

٢٥٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ ٢٩

٢٥٩- ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾

..... ٣٤

٢٦٠- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ ... ٣٧

٢٦١- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾

..... ٤٠

٢٦٢- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى

لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ٤٣

٢٦٣- ﴿* قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ ٤٥

٢٦٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ ٤٦

٢٦٥- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ ٤٨

٢٦٦- ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ ٥١

٢٦٧- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾ ٥٢

٢٦٨- ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ

وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ ٥٣

٢٦٩- ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ ٥٤

٢٧٠- ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ ٥٦

٢٧١- ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ ٥٨

٢٧٢- ﴿ * لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ ٦١

٢٧٣- ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ ٦٤

٢٧٤- ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ ٦٦

٢٧٥- ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ

مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ
ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ٦٧

٢٧٦- ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ .. ٧٠

٢٧٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ٧١

٢٧٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ٧٣

٢٧٩- ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ٧٤

٢٨٠- ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن
كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ٧٦

٢٨١- ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ٧٨

٢٨٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ
وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ
ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ
فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ

وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ
كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟
إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟
فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ٨٨

٢٨٣- ﴿* وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم
بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن
يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ٨٨

٢٨٤- ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ
يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ٨٩

٢٨٥- ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ٩١

٢٨٦- ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا
تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ

عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ٩٤

تفسير سورة (آل عمران) من الآية: (١-٩٢):

١- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ ١٠٢

٢- ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ ١٠٥

٣- ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ ١٠٧

٤- ﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ ١٠٨

٥- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ ١٠٩

٦- ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ ١١٠

٧- ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ ١١٢

٨- ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ ١١٧

٩- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ ١١٨

١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾ ١١٨
١١- ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ ١١٩
١٢- ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾
..... ١٢١
١٣- ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ ١٢٢
١٤- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ ١٢٤
١٥- ﴿* قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ ١٢٨
١٦- ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ ١٣٠
١٧- ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ ١٣١
١٨- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ ١٣٤
١٩- ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ ١٣٦
٢٠- ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ١٣٧
٢١- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ ... ١٣٨
٢٢- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن
نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ ١٣٩
٢٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ١٣٩
٢٤- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا
كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ١٤٠
٢٥- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۖ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ١٤٠
٢٦- ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن
تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ ١٤١

٢٧- ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ ١٤٢

٢٨- ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ ١٤٢

٢٩- ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٩﴾ ١٤٣

٣٠- ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٣٠﴾ ١٤٤

٣١- ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ ١٤٦

٣٢- ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٢﴾ ١٤٨

٣٣- ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾ ١٤٩

٣٤- ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤﴾ ١٥٠

٣٥- ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥﴾ ١٥١

٣٦- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ

وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾
..... ١٥١
٣٧- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ ١٥٢
٣٨- ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ ١٥٤
٣٩- ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ ١٥٤
٤٠- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ ١٥٥
٤١- ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ ١٥٦
٤٢- ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ ١٥٧
٤٣- ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ١٥٨
٤٤- ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ١٥٨

٤٥- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ١٥٩
٤٦- ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ١٦٠
٤٧- ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ ١٦٠
٤٨- ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ ١٦٠
٤٩- ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ ١٦١
٥٠- ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ ١٦٢
٥١- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ ١٦٣
٥٢- ﴿* فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ۖ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ١٦٣
٥٣- ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ ١٦٤
٥٤- ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ١٦٤

٥٥- ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٥٥﴾ ١٦٥

٥٦- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦﴾ ١٦٦

٥٧- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾ ١٦٧

٥٨- ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ٥٨﴾ ١٦٧

٥٩- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ ١٦٨

٦٠- ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ٦٠﴾ ١٦٨

٦١- ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ٦١﴾ ١٦٨

٦٢- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦٢﴾ ١٦٩

٦٣- ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ٦٣﴾ ١٦٩

٦٤- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ

ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ١٧٠
٦٥- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ
بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ ١٧٠
٦٦- ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ
لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ ١٧٠
٦٧- ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ ١٧١
٦٨- ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ ١٧١
٦٩- ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا
يَشۡعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ١٧١
٧٠- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ ١٧٢
٧١- ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾
..... ١٧٢
٧٢- ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ
وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ١٧٢
٧٣- ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ
أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ
وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ ١٧٣

٧٤- ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٤﴾ ١٧٣

٧٥- ﴿* وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ ١٧٣

٧٦- ﴿بَلَىٰٓ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧٦﴾ ١٧٤

٧٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ ١٧٤

٧٨- ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٨﴾ ١٧٥

٧٩- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ ١٧٦

٨٠- ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۚ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ٨٠﴾ ١٧٦

٨١- ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ

ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾
..... ١٧٧
٨٢- ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ١٧٧
٨٣- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ١٧٧
٨٤- ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ
وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ ١٧٨
٨٥- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ١٧٩
٨٦- ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ
وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ ١٧٩
٨٧- ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾
..... ١٨٠
٨٨- ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ ١٨٠
٨٩- ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ .. ١٨٠
٩٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ١٨٠
٩١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ

ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ... ١٨١
٩٢- ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ١٨٢
تضرّع ودعاء ١٨٥
فهرس: ١٨٧